

خالد محمد خالد

معاً على الطريق محمداً والمسيح

« الأنبياء إخوة
أمهاتهم شتى
ودينهم واحد »

محمد ﷺ

الموقف
للنشر والتوزيع

كل الحقوق
محفوظة

Copyright
All rights reserved

المقهى
النشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ روحان - غامدين
القاهرة - مصر

Tel: (00202) 7958215-
7946109

Fax: (00202) 5082233

Email:
elmokatam@hotmail.com

رقم الإيداع ٤٦٩١ / ٨٦

الليهوداء

إلى الذين يعملون في منابر ومحنة ..

من أجل الدنيا ..

ومن أجل الحياة ..



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَلَمِّمًا

هذا ما أريده تمامًا..

أن أقول للذين يؤمنون بالمسيح، وللذين يؤمنون بمحمد:
برهان إيمانكم - إن كنتم صادقين - أن تهبوا اليوم جميعًا لحماية الإنسان..
وحياة الحياة..!!

وليس هذا الكتاب تأريخًا للمسيح، ولا تأريخًا للرسول.. فتاريخهما قد
بُسط بسطًا لا يشجع على التكرار..
وإنما هو تبيان لموقفهما من الإنسان، ومن الحياة.. أو بتعبير أكثر سدادًا:
موقفهما «مع» الإنسان.. و«مع» الحياة..



لقد أخذني حنينٌ واعي، إلى الكتابة عن الرسول، وعن المسيح..
وفي ذات الوقت، كان يناديني الواجب الذي كرسْتُ له، أو أريد - دومًا -
- أن أكرس له حياتي... وهو الإسهام في حماية الإنسان، والحياة، من
الكذب.. ومن العجز.. ومن الخوف...
وفي اللحظة التي يعطي فيها وجدانُ الكاتب إشارة البدء، وجدْتُني
أكتب هذا الموضوع، تحت هذا العنوان..!

ولم أسأل نفسي: كيف تمّ هذا اللقاء السعيد بين رغبتي في أن أكتب عن محمد. وأخيه، ورغبتي في الكتابة عن الإنسان، والحياة..!

فأنا أكاد أعرف - تمامًا - لماذا جاء محمد.. ولماذا جاء المسيح..

وإنه فوق أرض فلسطين، شهد التاريخ يومًا، إنسانًا شامخ النفس، مستقيم الضمير، بلغ الإنسان في تقديره، الغاية التي جعلته ينعت نفسه بـ"ابن الإنسان"..
 الإنسان..

وابن الإنسان هذا، ذو العبير الإلهي.. تركنا كلماته، وبيترنا سلوكه.. ندرك إدراكًا وثيقًا، الغرض العظيم الذي كابد تحقيقه، ألا وهو: إنقاذ الإنسان، وإزهار الحياة.

ومن بعده بستمائة عام.. تأخذ الأرض زيتها لتستقبل إنسانًا آخر. ما يكاد يُسأل عن أفضل الأعمال وأبقاها، حتى يجيب: بذل السلام للعالم.. وأن نعيشوا - عباد الله - إخوانًا..!!

ريغار على الإنسان.. حتى إن فؤاده الذكي، ليكاد يتفطر أسى على موبقاته.. ويتفجّر أملًا في مستقبله، وثقة في قدراته..
 أيها الإنسان..

لماذا تسجد للأصنام..؟؟ ولو كان ثقة من يسجد له غير الله.. لكنت وحدك ذلك المعبود..!

ولماذا تذلُّ للسَّادة والأَعلين.. وأنت هنا، وفي هذه الأرض، خليفةُ الله..!

ويا أيها الناس..

لماذا تعيشون طبقات.. وقد خلقكم الله سَواسية كأسنان المشط، ولم يجعل لابن البيضاء على ابن السوداء فضلٌ إلا بالعمل والتقوى...

ويحب الحياة حُبَّ عاشقٍ عظيم.. فيستقبلها عند صُبحِ النهار، ومحساة..

وفي ناشئة الليل وأخراه.. ويعانقها في الزرع الطالع وفي المطر الهاطل..

وبعد، فعلى الصفحات المقبلة، سنلتقي بفيض من اللَّفَنات الذكيَّة، والتوجيهات السديدة التي نَحَّت عن الإنسان كثيرًا من مشبطاته. وسنبصر في ضياء اللامسات الرفيعة الهادية، جميع الجلال الذي أَراده للإنسان وللحياة، محمد، والمسيح..

ومن سلوكها هذا، وتوجيهاتها تلك، سيأخذ ولاء المؤمنين بالإنسان وبالحياة، زادًا باقيا.

وحسبنا هذا، حين نذكرهما في مقام التاريخ والتمجيد.. وفي مقام القلوة والتأسي.

خالد

مراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الكتاب المقدس
- ٣- تيسير الوصول إلى جامع الأصول من أحاديث الرسول
- ٤- ابن الإنسان - إميل لودفيج
- ٥- قصة الحضارة - ديورانت

الفصل الأول
سقراط يفرع اللاهوتاس



كان بأُ مُستسرّ في مشيئة الله، لم يُعرف بعد ولا سبباً يقدومها أحد
وكانت الحياة ماضية على نهجها، وبين الحين والحين، تقدم للناس بمادح
سديدة من الشر، يأخذ دوهها مكان الرواد والقذوة، أمام الصموف
الراحمة من الخلق، وتضرهم الحياة مثلاً لسعيها الحثيث في سبيل التموق،
والكحل.

وعلى حين نعتة، ومن بيت متواضع يقيم داخل جدرانته رجل فقير
يحترف بحت الحجارة، وصُنع التماثيل فتحت الحياة باباً ضيقاً؛ ليخرج منه
إلى الدنيا إنسان جاحظ العيب، أظن الألف، قد رهدت قسما وجهه في
الوسمة، فأرأوت عنها، وتلعت بحشوة مستأسة. وترقب الناس في لا
مسالة، شفّته العليظتين ليطروا ما وراءهما، إن كان وراءهما شيء.

واقترب الرجل في خطوات وثيدة ثالثة، وبظرات حصيفة طيبة،
وتحرّكت شفّته العليظتان في أناة، وتحولت انتسامات الطيرين إليه، إلى
فهقات عالية

-يا له من ماذح.. لماذا لا يفتح فمه ويريحنا !؟

وواصل تقدمه، حطوة، وفي الحموع سر عامص يدعها لتفصح له
الطيرين، حتى إذا شقها صقّين طويلين، وأشرف على وجودها، بادة الوحوش
المنتطرة بسؤال

- لماذا لا تبحثون عن الخير؟!

لأن معرفه، يا سقراط.

- إذن، فليدنا ما دمتم تعرفونه، لا تفعلونه ؟!

- أليس يكفي أن نكون حراء في حديقته يا سقراط...؟!

كلا! ليس الخير في الخير من معرفه، بل من يملكه...!!

ثم إني أشك في مجرد حزنكم به، ومعرفةكم له فهل تعرفونه حقاً ؟؟

- أجل، أجل، معرفه كما يعرف أنفسنا

إذن، فأستم تعرفون العرض الحقيقي لحياتكم...؟

- نعم.. أن نعيش، يا سقراط

لكن الهائم نعيش..

- نعيش عيشة صاخة، يا سقراط.

وصاح سقراط وسط لحظة من الحبور:

حسن هذا حسن كثيراً وإذن، تعالوا نعرف ما هي المعيشة الصاخة

فعدتد - فيما أظن - سيكون قادري على أن أعرف، ما هو الخير.

ثم أحده ما يشبه الرُعْوَاء، فحني رأسه قليلاً، وأسل حفيه، وبعد حين

عاد إلى وضعه الأول؛ ليقول لهم:

«إني، الإشارة الإلهية تعاودني إني بأمرني أن أتحدو معكم على

معرفة الحق؛ لأنه لا سبيل للعمل به قبل معرفته»



ماذا كان هذا الرجل سقراط ؟؟

وما علاقته بحديث عن محمد، والمسيح ؟؟

أما علاقته بهذا الحديث، فجد وثيقة، وعم قريب شبيها.

وأما هو فأبو «فلسفة» الذي عَلم الناس أن يحشوا، ويفكروا - والذي لا يزال الفكر الإنساني يجبا في صياء بهر من عقله، ومن عقول تلامذته. !
ولكن، أليس عجباً أن أنا «فلسفة» هده، والذي رلزل سكة العقول
المأجعة سؤاليه اندائس: كيف ؟ ولماذا ؟ والذي أطلق عقله الممحصر
الحزب، يفضّ معاليق الأسرار، وينقش المسلمات

أليس عجباً أن يصغي لصوت آخر، به طبيعة غير طبيعة العقل، دكم
هو صوت الوحي أو ما أسماه هو «الإشارة الإلهية»^{١٩}
إن هذه أولى علاقات مقرط حديثه، ولست آخرها وإن في حياته
معالم كثيرة جديدة بأن تتملأها وشهدها، فسعش لخطات في صحة هذه
الحياة

لقد اردهرت «أثينا» برجلها المصيء، وتحويت بدكائه الثاقب، وروحه
الحية، إلى حديقة راحرة شمار المعرفة وقطونها الدائبات
وآء الليل، وأطراف سهار، أحدث شوارعها، وأديتها تشهد عقلاً قد
يعرف دوافع ويعشدها، كاساً أمامه لعر «المشائين» وسفستهم، وهانفاً
تأسمى ما في الإنسان كي يستيقظ ويفيق

ولنه لياقش اساس في كل شيء، ويدبر الحوار في غير تهيب، حول، لأهه،
ولفصيله، وأخير، والشر، وأخير ثم لا يقتأيدكر بأنا بحمل داخل دواها
شيئاً، هو أئمن ممتلكاتنا. شيئاً عظيماً وقويماً ينتظر من أن يعرفه ونجهد
معرفة، ذلك الشيء، هو أنفسنا

إنا لسنا هملاً، ولستنا نفرض الدهر، ولا نتاح المصادفات، بل نحن أبناء
مشينة كبرى اصطعب لغرض كبير وعظمة اسده في مسيرنا تطويل هي
معرفة أنفسنا

+

0

2

4

5

6

7

8

9

1

2

3

4

5

الموت وأنا الذي حين أمرني القواد في «هونديا»، و«دليوم» أن أرم موضعى لرمته، وواجهت الخطر والموت..

«أيها الأثينيون:

«إني أجدكم وأحكم، ولكن لأني أطبع الله أكثر مما أطيعكم، هل أدع الفلسفة ما دمت حياً، سأواصل أداء رسالتي، سأدنو من كل من يصادفني في انطرين وأهيب به قائلاً

«ألا تحجل يا صاح من انكبابك على طب الجاه والثروة، وانصرفك عن الحق والحكمة، وعن كل ما سمو بروحك..؟! إن من يحارب مخلصاً في سبيل الحق، لن يمتد به الأحر إلى حين، ومن أجل هذا، فأنا لا أخاف الموت.. أجل إني لا أخافه، ولا أعرف طعمه، ولعله شيء جميل. غير أنني على يقين من أن محروا واحبي، شيء قبيح. ولذا، فحين أخير بين الموت الذي يحتمل أن يكون جميلاً، وترك الواجب الذي هو من غير شك قبيح، فإنني لا أتردد في اختيار الأول فوراً. هنيئنا.

«منذ طفولتي، يلزميني وحي هو عبارة عن صوت يطوف بي، فيبهاني عن أداء بعض ما أكون قد اعترمت أداءه وإن حر أن أسوق لكم تشبيهاً مصحكاً، لقلت، إنني ضرب من الدباب الشيط، أرسله الله لهذه الأمة التي هي بمزلة جواد ثقيل الحركة، ولا بد له في حياته من حافز..

«أنا ذلك الحافز. ولقد وحدثم مي باقداً مبههاً، يشار على فحصر آرائكم، ويحاول إقتاعكم عن حق، بأنكم تجهلون

بالصل، ما تتوهمون عرفانه
 «وإن الخير الأعظم نكم، هو أن نتركوي أوأصل رسالتي، أما
 بد أردتم نرثتي عني أن أترك البحث عن خير، وعن الحق،
 فسيكون حوايي: أنا شاكر لكم أمها الأثيوب ولكي أوثر
 طاعة الله الذي أعتقد أنه ألقى عني كاهلي هذا العباءة لخليل»



وأخيراً، يُحكم على سقراط بسوت وتتهياً له فرصة الفرار والحياة
 وهذا... مشهد آخر لا بد من وقعة تبعه.
 مشهد يمر من تلامذته، يحسبون إليه داخل سجنه، ويجروه في جندل،
 أنهم أعطوا السجن رشوة وافق بعده على تهريبه، وأهم هيأوا له أسباب
 السفر إلى «تسالي» حيث يعيش هناك مع سالتة الكرى
 وكأنها حسبوا أنهم يزفون إليه بشرى...! وما كادوا يفرعون من حديثهم،
 حتى مضى على طريقته يفتد رأيهم في أناة، كأنه معلم في مدرسة، وقته متسع،
 وفرصته مواتية...!
 وليس محكوماً عليه بالإعدام، سيعطى بعد حين قريب كأس السم
 ليتحرره، ويسيعه...!!

- «..ولكن لماذا أهرب يا أقريطون - من الموت؟؟

طبعاً، لأطهر بالحياة

حسن هذا.. وذن فلنبداً بأن نعرف، ما الحياة ؟؟

ثم يشال حديثه الواثق العذب ليخبرهم أن مجرد الحياة، أمر لا يعني
 الرجل المعقل. وإنما تهمة فقط، الحياة التي تلتزم الصواب فهل الهروب
 صواب...؟؟

- « ثم كيف أستطيع - يا أقرىصون - إذا ارتكبت رذيلة

الحبس، أن أتحدث عن فضيلة الشجاعة؟ » ١٩

ويقنع تلامذه. بل يجعلون..

وحين يسألونه: على أي نمط يجب أن يُدعى؟

يجيبهم

« على أي نمط تشاءون، إنكم ستدفنون الجسد وحده

أما الروح فذهابة إلى مكان يبعث فيها لسرور.

هناك بين المباركين. !

س أمكث بعد مماتي؟..

وفي الميقات المعلوم يُجاء له بكأس صغيرة، تحمل في ذؤوبها، منيته،

فبأحدها بيد ثابته، ويدفعها إلى فمه ثم يتمهل قليلاً ريثما يدعو «إلههم

اجعلها رحلة مباركة سعيدة».

ويتحرع السم.

ويموت سقراط.

أو على حد تعبيره هو: يموت جسد سقراط...!



لماذا بدأنا موضوعاً بهذه البداية الطيبة؟

ومره أخرى ما علاقه سقراط بحديث عن محمد، والمسيح؟

إن الدين تفتحت بصائرهم على قسرات هذه الحياة التي عرضها في

إيجار شديد، لن يجدوا أنفسهم في حاجة إلى سؤال كهذا.

● سقراط فيلسوف لا نبي، وهو يعلم أنه لن يسر الفلسفة ومحورة

العالمين على أساطير الأولين ما دام فيه نفس يردد.

● وهو لا يسأل الناس على تعليمهم أجرًا، ويرفض كل مشيئة مادية تقدم إليه.

● وهو كفيلسوف، يهيمه أن يعرف . وأن يجمع معارفه بنفسه، وبجهد العقل المتحرر.

● ثم إنه كان يحمل عقلًا شائعًا وشامقًا لا يتنقى، وإسما يناقش، ولا يفقد، نكهة بخلق

● وهو صد الأحكام الجاهرة، والآراء المسقة ولا يرضى للناس أن يقولوا - وبو للصواب داته - سمعنا وأطع بل يحب عليهم أن يقرأ ويظروا.. ويسمعوا . حتى إذا تبين لهم أنه الحق أخذوه وعانقوه

● وهو لم يقل للناس «اعرفوا ربكم» بل قال لهم، وفي إلحاح دائم ذكي: «اعرفوا أنفسكم».

سقراط، إدم، رجل عقل، يستعمل عقله في أوسع نطاق ويدعو الناس لاستعمال عقولهم، وبه ليحترم كل ما للعقل من حق في المناقشة، والمعارضة. بل وفي الشك.. ومع هذا

● فهو يصغي كثيرًا لصوت آخر غير صوت العقل، هذا الذي أسماه «الإشارة الإلهية» أو «الإشارة المقدسة» أي أن الفيلسوف الذي جعل العقل مصدر تفكيره.. قد جعل الوحي أو الإلهام الصاعط موضع احترامه وتبنيته

● وهو أيضًا، يفسر الحياة تفسيرًا دينيًا، فليست دينًا هذه هي المنتهى.

بل واحدة في الطريق. وليست هاتيه ويفسر الموت بمثل ذلك، فهو عمده دهن للحسد وحده، أما الروح فلها الخلود في عالم يسر الصالحين

● وهو يحس بدموني قيامة وبعث.. يهضون من قورهم؛ يستأنفوا

رحلتهم وحياتهم.

ألم يقل لأقريطون، «لن أمكث بعد محاتي»؟!

● وهو قبل هذا، يؤمن بألوهة طيبة، وربوبية قادرة، تدعو الناس إلى معرفة الحق، وفعل الخير.

وهكذا، يتدنى لنا «سقراط» بذرا جديداً مترعاً بالحياة، تررعه السماء في الأرض؛ بيؤني أشهى وأبقى ثمارها

ويقف الفيلسوف، هادياً يقرع أجراس الحياة العظيمة، وسط بشرية عابئة؛ كي تلقى سمعها ووعها، إلى الربير الصادق الذي أهلت مع هد الرحل عصوره وأزمانه

ونسوف يظن العالم ثملاً - في غير عيسوية - بعدوة ذلك اللحن السقراطي إلى ما شاء الله.

ولكن، بعد خمسمائة عام من موت العارف العظيم وسفره، سيفد إلى الحياة هادو جليل، ومدع مقدس، يمشي الهويما في دروب مسطين، وسهرها ثم بعد ستمائة عام أخرى. يزور الديار. هاد آخر جدّ عظيم.. يعبر شعاب مكة.. ويصعد في جبالها متأملاً وصارعاً حتى إذا وجد اليقين لدي يبحث عنه.. وحتى إذا قل له الوحي «قم فأندرك» نهض في السس سديراً وبشيراً.

ولكن إنسان أورشليم وإنسان مكة يحتلهم عن إنسان أثينا هالآخير، يلبس رداء الفلسفة، ومحمد والمسيح، ينسان رداء الرسالة. وهما، وبعد الحديث القريب الذي سقاه، يلتقي بالحكمة التي سحث عنها، والتي من أحلها وقها هذه الوقفة مع سقراط.

فالفيلسوف الذي ترك في الفكر الإنساني كله طابعه الأصيل الفريد،

و لذي لا يزال مكانه من فلامسة عالم ومفكر بهم، مكان الأستاذ وانعم
كان يؤمن بالغيث

يؤمن بالله ويستشاق احياء بعد الموت ويوحى ينطقه المصطفى
الأحيدر عن الروح الأكر، مشع في هذه الأكون عظمة.
صحيح أنه حارب، آلهة، ولكنه لم يحارب الإله الديني. والآلة الدين
حاربهم هم أولئك لمة معون فوق جبل «أوليب» يتعاركون، ويتنادون كل ما
يتنادله صغار الناس من أحقاد، ومؤامرات، ومكيد !
شهر «سقراط» هذا النوع من الآلهة، وهذا الطراز من الإيمان واحتفظ
بالإيمان دكي بالوهمة طسة عظمة

وفي أي العصور ما من الفيلسوف، نكر بشر ديبانه ذلك ؟
في أعظم عصور العمل اسدنه، معرفة وإشراق العصر، الذي استطاع
العقل الإنساني حلاله - ومن غير أن تكون معه محبته وأجهزة أن يحس
حركة لأرض، وكرويتها، ويستشرف داخل «الدرات» التي تبدو صلبة تافهة،
شموساً هائلة وطاقت مذهلة.

ورد، فعندما يجيء بعد رحيل سقراط بر من يطون أو يقصر من يدعو
الناس للإيمان بالغيث، فإن واحبهم أن يقو ويظروا ويسمعوا
أحر، لا أقل يومئذ، من أن يسألوا أنفسهم
لماذا لا يكون هذا حقاً ؟!

لم يحدث مثله من قبل رجل خارق الذكاء، صادق الخلو، كبير الإيمان
بالعقل، وبالملطق، شديد الولع بالحوار، والشك، اسمه سقراط ؟
أحر، لماذا لا يكون حقاً ؟!
أو على الأقل، لماذا لا يصني إن ما يقولون..؟

صحيح أن سقراط، حدثنا بأشياء، اكتشفها فيما بعد خطأها. سد أنها كانت من تلك التمهصلات التي تشبه الافتراضات التي يتوصل بها العلماء لاكتشاف نظريتهم حتى إذا برزت النظرية كحقيقة حيه لم يعد لتلك الافتراضات قيمة، ولم تؤثر «وهميتها» في قيمة النظرية وصدقها، على أن جميع القيم التي والاها سقراط، وآمن بها وبشئ كالحق، والخير، والحيل؛ لا ترال، وستظل حادثة، صادقة، شامحة، لا يريدنا، لعلم إلا ألقا وقوة فيم لا يكون الإيمان كذلك، ولا سيما والعلم لم يستطع أب يصل إلى يقين سقيصه.

وبعد... ففي سقراط: التقى العقل، والوحي
وفي سقراط: بشرت الفلسفة بالدين.





العصا الثاني
الهداية قرص سفائت

أكان سقر ط وحده يرفع نواء الخير والمعرفة ويقرع الأحراس؟
كلّا فهي أقصار شتى من لأرض، كانت الهدية ترسل سمائها، وفي
الأفق العبي للعبد، كانت الشُّرع تتعاقب، وفي عباب الحياة الإنسانية، كانت
السفر تمضي ماحرة، هادرة، تحمل للناس رسالات الهدى، وفلسفات الخير
والصلاح

فَقَتِّل «سقراط» ممثلاً كثيرة من السنين؛ كانت هناك في مصر القديمة،
وفي آشور، وفي بابل، محاولات مُبيرة لاستحلاء الرُّشد والخير
وكان «إحسانور» في مصر القديمة يعلن أن الإله واحد. ويقاوم تعدد
الآهة وعبدية الأوثان ويتأجني إله الواحد آتون - يقوه

(أس جميل، وعظيم، ومبالي، ومشرق فوق كل أرض،
وأشعث محيط بالأرض حتى نهاية جميع مخلوقاتك)
وكان الفكر المصري القديم يملأ أرضه وبلاده هتافاً بقيم الحق والخير،
داعياً للعدل، والاستقامة، والمساواة، والرحمة، ومُشيراً باخلود في الدار
الأخرة.

وكاد ينادي الناس باسم الإله، فيقول:
«نقد صعدت الرياح الأربع؛ لكي ينمى منها كل إنسان
كرميته..»

«لقد صنعتُ مياه البصيص العظيمة؛ لكي يكون للفصير فيها حق كالعظيم..»

«لقد صنعتُ كل إنسان مثل غيره من الناس..»

وكان يقول لهم:

(إن الصدق جميل، وقيمته خالدة)



(لا تتكلمن مع إنسان كذباً؛ فذلك ما يبعثه الله

(ولا تَفْصِلَنَّ قَلْبَكَ عَنْ لِسَانِكَ، حتى تكون كل طُرُقِكَ راجحة).



وقبل سفراط ثلاثانة عام، ونحت سفوح الهملايا في شهابي السعال، كان فتى رسيم الطلعة، ربان الشاب، يرفس في كل ما تحمل به الدنيا من متاعم، ومطاعم، وماهح، ومسرات وذات يوم، وهو يمتطي صهوة جواده، ويزاول برهته اليومية، أقحم القدر على طريقه بعض بماذح من الشر، ينطوي أصحابها على أشى ممض فاجع..!

ولكأنها كان هذا المشهد مداء العيب لـ «حوتاما» أو «بودا» كما سيدعى فيما بعد

فهي أمسية ذلك اليوم، أنهد في هدوء وعزم، ما أسرّه في نفسه صحن وفي مهجة الليل، انساب كالأنفاس الودعة من فراشه وقصره وديابه البادحة، وحرر ومعه حادمه، حتى إذا بلغا شاطئ النهر، قطع «نودا» ذوائه. ونصب عنه ثيابه المترفة، وما يتحلى به من لؤلؤ وذهب وأعضاها جميعاً حادمه، وأمره

بالعودة، يسبأ اتحد سبيله إلى ماسك العابدين، شال جبال «الفديا».
وهناك شق على نفسه، وكلفها من العبادة ما يطيق، وما لا يطيق،
وأسلمها لصيام مرير، ورهادة بالغة.
بيد أنه لم يلبث أن اتهم نفسه بقتل نفسه.. ومن ثم، فقد شرع يعتدل في
سكته، وفي إخبائه.
ودات يوم . رن في روعه نفس الصوت.. الإشارة الإلهية أو الوحي..
أو الإلهام.. سموه ما شئتم.
المهم أنه نداء يحس أصحابه أنه قدم من فوق.. وراء ما يحسون وما
يبصرون.

وأصغى «بوذا» ثم أصغى، وأصغى
وأحبراً، عاد يث في الناس حكمته ورؤاه.
فماذا كانت هذه الحكمة؟
هي ذي ولا تريد.

- «أيها الناس، ابدوا الأنانية»

إن «بودا» يهتف بالإيثار وخدمة الآخرين، وهو لا يعتبر نفسه مسئولاً
عن أن يعرف كثيراً عن سر، لإله بل هو مسئول عن أن يعرف كل شيء عن
نفس الإنسان !!

وهو يدعو الناس، لينبدوا أظلماعهم، وأمايتهم؛ كي يجدوا «لنرفنا» في
انتظارهم.

و«لنرفنا»، عند بوذا هي حالة السمو والصفاء التي يجدها ويلعبها
الدين يعدرون أنفسهم سعياً وراء الحكمة والحق، والدين يتفوقون على
أنانيتهم ويبدلون من ذوات أنفسهم في الخبر العام.

إنكم تجعلون من دوانكم سجوداً صيفة مصممة فائدة، حين تعكفون على
أنفسكم وحدها، وتعيشون لأنفسكم وحدها
وإني إذ أدعوكم إلى «إسرافانا» لأدعوكم في نفس اللحظة، إلى أن تحطموا
عنكم أعلالكم، وتبادروا سحوبكم التي تحببكم داخل طلبتها
عابوا الآخرين، وسقطوا إليهم فربكم نابوده، وأيدنكم بالإيثار
وبالرحمة.

بمثل هذا، مصى نودا بشر، وبدعوا، موسلاً بالمعرفة، ولأمن، مشراً
الصعب إلى بلوغ نرى عالمهم المشهود - عالم «إسرافانا»



وفي نفس الزمان كان هناك في العصر رائد جليل يقول:

«حياتي هي صلاتي».

كم هي قننه وقيمه، هذه لعدرة^١ وإياها لنسأ من قورها عن موضوع
حياته قنلها، ودعوته.

به «كفشيوس» حصر جهده في تحديد حياة البشر، وضبط سلوكهم
وفق ما يختاره هم من عادات، وأعراف، وتقاليد

ولقد هجره طبيعته، إلى «در الحكمة» التي شأها في ولاية «نوا»
وصل صصح فكره، ويجمع نفسه، ويحور كشاف دوره، حتى أقصى إلى
ما يريد

وهذا حترح إلى الناس تنعائهم، كل عرصها حلق الرحل «الحسدان»
لرحل الأبيق النظيف، في بصرفانه، وفي حركته، في طريقة أكبه، وفي
طريقة سبره، وبومه، وفي طريقة حديثه، وفي حياته كلها
وحين يرحل الوطن هذا الطراد من أبنائه، يصير قادراً عن صبح نفسه

بالصفحة الحيدة التي يريد لها «كنهشوس»

وحين تحج انحرية داخل الصين، تصدر إلى حارحها وهكذا يقر
«كنهشوس» عينا ويبدأ بالآ، تجاه فوصى السلوك والبطم التي توفقه كثيرًا،
والتي قال عنها ذات مرة:

«إن هذه موصى التي نعم الالاء هي شيء الذي يحسح إلى
جهودي».

كذلك كان هناك أسياء لشرق لأدنى مجبوب، بقصر واسجوع، هتفيم
بصلا، وبالر، وبالتصحية مفصين بعضهم الصاعق على الاستعلان
واحتكار الثروات.

«.. من أجل أنكم تدوسون المسكين.. وأحدون منه هدية
فمح بيسم بيوتًا من حجارة مسحوقة ولا تسكون فيها،
وغرستم كرومًا شهية ولا تشربون منها.
«وبل للمستريحين في صهيون أنتم لمصطجمعون على أسرة من
العاج . ولتمتدّدون على القروش، والأكون حرافًا من العنم،
وعحولًا من وسط الصيرة «هاندرون مع صوت الراب،
اشاربون من كنوس الخمر».

«كهرب أعبادكم، حتى تدعوا حق يجري كأمياه، والر يجري
كهر دائم. ؟»

ولا يكاد هذا هدير يبدأ ويكف، حتى يحجل في الأفق، وبين الروابي،
وفوق السفوح، بدير جديد يهتف به «شعيا».

«... ما لكم تسحقون شعبي، وتطحنون وجوه الناس... ؟!
«وبل للدين يصبون بينا بيت ريقرون حملًا بحق، حتى لم

يقم موضع، فصرتم تسكون وحدكم في شطر الأرض. !
«ويل للذين يعضون أفضية لباطن، ولتكتبه الدين يسجلون
زوراً؛ ليصدوا الضعفاء عن الحكم، ويسلبوا حق بائسي
شعبي. لتكون الأراذل غيبتهم، وينهبوا الأثام...!
»يقول الرب:

«اعتسلوا تنقوا. كفوا عن فعل الشر... تعلموا فعل الخير،
اطلبوا الحق، أنصتوا، اقصوا لليتيم، حاموا عن الأرملة».
ثم يلقي نبوءة وأملاً فيقول:

«ما هي ذي العذراء، تحمل وتلد، وتعطي ابناً، يحمل فيه روح
الرب روح الحكمة والفهم. روح المشورة والقوة.. روح
المعرفة وخفاة الرب.

«يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض
»يسكن الذئب مع الخروف، ويربض مع اسعر، يطعمون
سيوفهم سكناً، وربحهم مساحل
«لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» !

أي إنسان كان إشعيا ؟

وما هذه المودة الدافئة العميقة التي يكنّها للعالم وللسلام...!
هل نطمع نحن اليوم، بل وبعد عشرات السنين ومئاتها، في أكثر من
هذا ؟

أن تتحول السيوف إلى عملة .
وتتحول الرماح إلى مساجل..
وبعارة واحدة تتحول ميراثيات الحروب وبيع الموت إلى تعمير،

ولنعاش، ورحاء وسلام دائم مقيم.

هكذا ألت الحياة سمعها لرواد من طرار لا نألمه نحن اليوم في
أحبالنا.. ولعل هذا مما يواعد أحيانًا، ويفصل بيننا وبينهم خطوط وهمية
محاددة.

لكن حين نستأني، ونخلص في محاولتنا العهم والمعرفة، نجد الدور
الجليل الذي قامو به ياديد، ويادي فيما كل ما نملك من قدرة على الاحترام
ولتحليل

إننا إذ نصغي اليرم لرحال من أمثال هيجس، واسيورا، وابن رشد،
والقاربي، وسانتا يانا، وابن سيد، وشكسبير، والمعرّي، وكوبرنيكس،
وحانيليو، ونيوتن؛ فإننا نعمل ذلك إكبارًا لما أسدوه لعقوب، ولوجداناتنا من
علم ومن نور..

وهذا جميل ولكن ليس جميلًا أن يفتن روح «عصر الديي» بمنع عن
العيب إلى الشهادة، وعن السوء إلى التجربة

ليس جميلًا أن يصرف روح «عصر هد» عن أن يدل احترامًا صادقًا
ونصعي في تدبير وتعلم لأولئك الرواد الأوئل لذين أحدوا على كواهلهم
المسلسلة، تطوير الحياة الإنسانية عن طريق تطوير العقل الإنساني وبث رؤى
الخير والشجاعة والصلاح في الضمير البشري

ولقد يكون بعضهم سلك شعاعًا يشق عليه اليوم أن يسير فيها، لكنهم
في الإطار العام لدعوتهم وماهجهم، لم يكونوا إلا روادًا، أفذاذًا، ورسلاً
صادقين كبارًا.

ومن جماع هتافاتهم الرشيدة لمبعثة من أوطانهم المتباعدة حصصت
تحوم وطن واحد للمصيلة وللحق، وأيضًا للعالم الواحد الذي سيتهي حتمًا

إلى القضية وإلى الحق فوق صعيد ذلك الوطن الواحد الكبير الطاهر.
لقد كانوا أناسهم الله عن حياءٍ ذوي فصل كبير في جمع انشورية بذاتها،
وفي لقاءهم بوجاهتها التي أفصت ممارستها إلى ما ظهرت به فيها بعد من تفوق
عقلي، ومن تفوق أخلاقي
وإنا لسأل.

أهل لاء الدين لم يؤخذ على سلوكهم شهوة، ولم تحتم حول عقوهم طينة..
الدين عاشوا وتألموا، وكانوا اصعب، ووجهوا الخطر، من أجل
الناس، لا من أجل دنيا يصيبونها، ولا منعمة ينالونها !!
والدين حرقوا من ديارهم، ومن أنفسهم، ومن أموالهم وسئلوا
لدعوتهم، وأخلصوا أصدق الإخلاص لواحدتهم
هل كانوا وهل كان كفاحهم، العظم.. وأبهم العاملة. ورؤاهم
بصيلة.

كل ذلك.. أكان هدرًا.. أكان لعوا، وبطلاً؟

أبداً أبداً.. أبداً

وإنه المروض علينا من أنفس السوية: أن نحترم كفاحهم سبل الخذل،
ونصغي لحكمة الحلول المائعة التي لا تزال تشع بها أممات تعاليمهم..
والتي انطلقت ذات يوم لأول مرة من هالك. من أثينا، والصين، وأهد،
وأرض الشم ومن قس. من هـ من مصر لقديمة حيث صيغت على
سوق عال وثيق، بسمات التوحيد، والبعث، والخلود، وحيث رسمت
للأخلاق، ولبسلوك مباح قويمة، بقدر ما هي مستقيمة.



والآن، اقربوا

في خشوع، وتقوى.

إن الباب الكبير يُفتح؛ ليخرج منه إلينا. إلى الشر جميعًا أخوان حميدان.. حاءا يلخصان دعوة الخير كلها، ويعطيها في إطارها اللذي، تعبيرا النهائي .

اطروا.

ها هم - في ضياء باهر - قدموا

عيسى.. ومحمد.

ابن الإنسان

ورحمة الله للعالمين..!



أما «عيسى» فسيلخص لنا كل فلسفات المحبة، ودياناتها، ورؤاها ثم يمسحها إياها في تركيز حاسم.. في دعوة مبصرة في سلوك وديع.
وأما «محمد» فسينقُص عن الإنسان آخر أفعال اشعي، والخصوع، ويعلم في شمول وإع حقيقة التوحيد.

وهكذا تتقوى الشريعة منه، آخر دروس إعدادها، وتتسلم وثيقة رُشدنا؛ لنتمضي بعدها في طريق الحياة شُجاعة مصرة
تجربة الوحي في قلبها، وبور العقل في رأسها.
والله من قبل.. ومن بعد يعيها ويهديها.



الهيئة العامة

معرفة طريق الرب

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

37

38

39

40

41

42

43

44

45

46

47

48

49

50

51

52

53

54

55

56

57

58

59

60

61

62

63

64

65

66

67

في ححر أُمّ نازّة، بدأ المسيح، كما بدأ محمد، أولى ساعات الحياة وفي شباب متأمل، ورع، طالع كن منهما رؤى مستقبله، واستحى عوامض سحاته..

● وكما تلقى «المسيح» بشره الحافرة من رحر صلح، حين قل له وعيه عليه لا تريم:

«يحيى من هو أقوى مني»!

● كذلك، تلقى «محمد» بشره الحافرة من رحر صلح، حين قل له وهو مُضع

«هذا الناموس الذي أنزله الله عن موسى»!

● وفي قرى ظلمة لنفسها، صاحبة شهواتها، سار كل منهما عمّا يقيا

● وأمام مكابد اليهودية انتّمة الغادرة، وقف الرسولان يتحدثين رجسها، ويكبدن بأسها!

● وأريد بمسيح أن تنتهي حياته الظاهرة على صورة تُشع الأحماد المدعونة الملتائة، لخراف إسرائيل الصالة!

● وأريد للرسول، أن تنتهي حياته أيضًا بسب من عذر اليهودية

المتآمرة، فسدست امرأة يهودية السم في طعامه.!

● وقال «المسيح» حين أحاط به لزوم الكهنة وكيد الكائدين

«اغفر لهم يا أبتاه؛ لأنهم لا يعلمون ما يفعلون».

● وقال «الرسول» ودمه يتفجر تحت قسوة الحجارة التي يُقذف بها من

كل جانب.

«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

أكات هذه «شامة عمرو المصادقة»، أم هي ثمرة شيء يشبه القانون العام

يُصنع على شاكلة هذا الطرار اخليل من الهداة...؟

إنما يريد أن تقترب من محمد، ومن المسيح أخيه، ويريد أن يبصر الرؤى

الصحيحة التي رأيا بها مستقل الإنسان، ومستقل الحياة؛ فإنهما في هذا

لتظيران مثلما هما نظيران في شدة ولانها للإنسان وللحياة

والآن، علينا أن نعرف، ماذا كانت البيئة التي ستطر كلاً منهما، وتتجمله

المجبيء. عسى هذا أن يهدينا إلى حاجة عصرنا هما، ولروح الخير الذي تعب

في بثه وإداعته.



فلسطين، أرض تحمل شعباً متعدد القسّمات، يعاني أهلها حقدًا كثيرًا على

الغزاة الذين سوموهم سوء العذاب.. وهم هذا، يهربون من الواقع الممحص

إلى رؤى عِد مرقوب، حيث «يجيء ملك يهود ومخلصهم»^١

إن حودروما، تشوي الأشرار بسياط كارية، والحدوداب «اللامعة المتكررة

تقذف نار عى في أفئدة القطيع.. والصرايب الفادحة «دهشة تُجى من ذوي

الخصاصة والكادحين؛ لكي تُرفع إلى السيد الماجد «قيصر» المتربع على عرشه

الباذخ في «روما»!!

والخاثون بين يدي هذا الواقع الأليم، أساء شعب تشرد في الأرض وفي القرون، وعانى من التمرقق والحق، ما جعله ينلمس في شوق بالغ قدوم من يخلصه

كذلك عانى من تعدد الأسياد، وتعدد العزاة الذين أنقضوا ظهره؛ ما جعله يهوى إلى عقيدة التوحيد، ويهتف بها

ترى، إن جاءه مخلصه يؤمن به، أم يعدُّ له صليبا كبيرا ؟!

وإن دُعي إلى عبادة الله الأحد، بطيع ؟! أم يُشرك به الذهب، والبل ؟!

لم تكن تلك أحاسيس اليهود القبعين في بعض فلسطين وخدمهم بل والمبورين في بقاع كثيرة من الأرض.

هناك في إسبانيا، وفي إفريقية، وفي جوارب البحر الأبيض المتوسط وفي جوارب روسيا، وبعض بلاد الإمبراطورية الرومانية.

غير أن المقيمين منهم في «أورشليم» وما حوفا كانوا أكثر معاناة للألم وأكثر تعقلاً للأمل، وأنصأ أكثر اضطراباً وبلبله وإيقاً

كان «المجتمع» هناك - إن حاز هذا التعبير - نهياً لتقاليد حالطها الكثير من العفن، والفساد، والمفعية . مما جعل الأنبياء يكثرون وتكد صيحاتهم الملدرة، ترحم جو السماء.

كان اليهود الفريسيون يقفون حراساً عنيدين على طقوس شكلية حالية من الروح، متجاهلين أبواب الشريعة، وصميمها.

فالسبت - مثلاً - مُقدَّسة فيه الراحة، بل البطولة؛ حتى لقد ترك أبائهم ذات يوم «أورشليم» تسقط في يد أحد الغزاة السلوقيين لأنه هاجمها يوم السبت، وهم يوم السبت لا يعملون، حتى حين يكون هذا العمل دفاعاً واحباً عن حياتهم وأبنسهم..!!

وهم أيضًا - المَرَّسيون - يهتمون أعظم الاهتمام بعسل الأيدي قبل الطعام، لا من أجل النظافة، بل مجرد أنه مقدس ديني. ثم لا يهتمون بمأثي هذا الطعام، حلالاً كان أو حراماً!!

وطهارة القلوب لا تنال من اهتمامهم معشار ما تناله طهارة الأيدي، وعما قليل يستصرحت صدورهم وطواياهم وهم بخاريون مسيحيون ويفتنون في الكيد له.

واليهود هناك، يمنحون أنفسهم من الامتياز ما يجعلهم فوق الشر، ويرون أنفسهم «شعب الله المختار» ويرغمون أن الله قد وعد أباهم «إبراهيم» ملكاً عظيماً، يحكمون من خلاله جميع الأرض وجميع من عليها!! ثم هم يعيشون في دائرة معتقة، مطوية، مترممة

وهم في أورشليم يُشكلون «مصرفاً» جشعاً، يؤبه المال، ويحتكر الثروة، ويصرب الفقراء والمعوزين سياط الاستغلال، والربا، والنعى، لا يعرفون عن المقدسات إلا أنها لسييل لحظوظ أوفى من الكسب الحرام، وإهم ليلعبون في غرورهم الصفيق الخد الذي يقولون عبده: «إله الله فقير، ونحن أغنياء»!!

وهم جماعة تفكر بمخاوفها، وبحرصها، وبأمانيتها، فيجيء تفكيرها من الاحراف، والقسوة، بحيث يبدو أصحابه وكأنهم ليسوا على الإطلاق بشرًا لقد قتلوا أنبياءهم، وكلما جاءهم رسول من لا هوى أنفسهم استكروا هريقاً كذبوا، وهريقاً يقتلون

وهم لأساتدة في فن الجريمة، وفي أعناقهم وأسيهم تقع كبيرة من دم «ركب» ومن دم «يحيى» ومن دماء رابية لأنبياء وشهداء كثيرين! وهم - وإن نظاهروا بالغيرة على الشريعة - لا يضعون شيئاً من حقائقها

موضع التنفيذ

والذي يعيهم من الدين كله، شيء واحد * هو مُلكهم المنتظر حيث نجد نزواتهم الجامحة في السيطرة وفي الاقتناء فرصة سعيدة وإذا كانوا مشعورين بمجيء «المخلص»، فليس لكي يخلصهم من خطاياهم، ويهدي إلى الله نفوسهم وسلوكهم وربما لمصاعف الثروة في جيوشهم !

من أجل هذا، رغبوا بالمسيح بعض الوقت فور ظهوره، فلما تبين لهم أنه لن يكون «السمسار» الذي يسلمهم الصفقة المنتطرة، وأملك المرقوب هو أعداؤه وتواضّع عن حربه !

وأخيراً، فإن معظم القيم السامية - إن لم يكن جميعها - قد اختفى من هذه البيئة وكن للكّهّان فصل كبير في هذا.

وفي وحل اخشع، وإلى حصيص الجريمة أخلد الناس الذين كانوا يومئذ هناك

ولو أن قوة تتمتع بها تشاء من ذكاء ومقدرة، أرادت أن تتقدم لإصلاح هذه الجماعة الضالة، والتي لم تكن رعم مسوئتها الكثيرة، إلا بمودحة لكثيرين من سكان العالم أجمع، فهذا كانت صاعدة؟

● تشيخ الجامعات، وتملؤها بالأساتذة والمربين؛ لتقر في مدرجاتها هذه الخراف الضالة أسلوب الحياة الفضيلة؟

● تتوسل بأجهزة الإذاعة، والصحافة، والشر؟

لم يكن شيء من ذلك قد وجد بعد.

● إذن تصهم في قوالب سحرية، يدخل أحدهم من أعلاها شريراً

فاسداً، ويهبط من أدناها قديس طاهر؟!

ولا هذا

لقد اصططعت لسماء يومئذ أنجع الوسائل وأحداها، فكان المعلمون الصالحون الذين يسيرون هم الخير وأشر، ويميزون الخبيث من الطيب، ويقودونهم بكلماتهم الحارة الصادقة، وسدوكهم القاضل البهر إلى المحبة والعصيلة، ويشكلون المجتمع على صورته تمحه قابلية التطور الصالح، والتقدم السديد

هذا كان عمل الأسياء والمرسلين، قس أن تحلظه إصابات الأنواع، وتحريف المعارضين

وهذا ما سيجاوله المسيح حين يحيا



وبكن، قبل أن شهد بحينه، بحسن أن تلقى نظرة أخرى على العالم كله؛
فليس يكفي أن تعرف ماذا كنت «أورشليم» قبل ظهوره دون أن تعرف
ماذا كانت كدنت - وفي نفس الزمان - طبيعة المرحلة التاريخية للعالم كله
فالمسيح، ومثله الرسول، لم يجئنا ليوقد شموعهما في أورشليم وفي مكة
وحدهما، بل جاءا ليوقد شموعهما للعالم كله
ونقد كان على وُحدان مهده الحقيقة
قال المسيح:
«جئت لأخلص العالم».

وقال الرسول

«إن الله أرسلني للناس كافة وأرسلني رحمة للعالمين»

ولقد حدث هذا فعلاً ولم تق دعوتهم دحل القرى الصغيرة، بل بصحت
ها أبواب القارات الكبيرة، ولا تزال الديانتان المسيحية والإسلام، تعمران

الأرض

وهذا شيء طبيعي للأفكار قوة على لثام والرحب أكثر مما للحيوش
نفسها . ولا سيما تلك الأفكار الصادقة الكبيرة التي يحمل من أماني البشر،
وتحقق من احتياجاتهم ما هم إليه مشوقون.

فما الوصف الذي كان يسود العالم يومذاك؟؟

كان الشرق الأقصى يمارس فلسفه الخاصة، وتتطور العظم في بلاده
تطوراً عنيقاً تارة، وحادثاً تارة أخرى

ولكن ظاهرة تشر الانتباه حقاً، كانت أيامئذ تعلق عن نفسها في ذلك
الركن الأقصى من الأرض

فهي الصين التي كانت تعيش وراء سورها السبع طوله ألفاً وخمسمائة
ميل. والتي كانت قد وُجدت ولاياتها الكثيرة المتفرقة تحت لواء حكومة
مركزية واحدة.

الصين تلك، كانت تمارس تجربة هائلة بدأها الإمبراطور «وو دي» ثم
أعاد تطبيقها بعد بكسة طارئة الإمبراطور «وويج مابح»

وتنظم هذه التجربة: إعاءء ارق وتأميم الأرض الرعية تأمياً كاملاً
شاملاً، وتأميم الملح، واخذيد واداجم، وثبتت لأسعاراً

أما في الشرق الأدنى، وأوروبا، فقد كان هناك سعيان وبيل، ورق شعاع
والإمبراطورية الرومانية، على الرغم من محنتها، وتمزقها لدولية،
فانصة على أعناق رعاياها، في بلاد عالة، حيث شمالي إيطاليا، وحيوي فرنسا،
وفي بريطانيا، وفي النمسا، والمجر، ورومايا، ويوغسلافيا، وبلغاريا

وفي إسبانيا، وشمالي إفريقيا.

وفي مصر، والشام

وفي أقطار أخرى من الأرض، سيطرت عليها
وكان سلوك روما مع الخاصعين لها عجباً، فهي تُصدّر إليهم قيصراً،
وبأحد منهم أراقهم، وما تنح بلادهم من ثروة وخير !!
ولا بأس لدى روما أن تسمح لعص انقاضات بإرسال ممثليها في
مجلس الشيوخ الروماني، كما حدث حين سمحت بهذا لعص من أشرف
مرسا

نمّا، كما تفعل فرنسا اليوم مع الجزائر إذ تعمرها مقاطعة فرنسية نظير
التصدق عليها بإعطائها حق التمثيل في جمعيتها الوطنية (١) !!
ولم يكن الاستعمار الروماني ممثلاً في جيوش «روما» وحدها بل كان
يؤثر القوة واسلح، فريق من الاحتكاريين العتاة

فقبل ميلاد المسيح ستة وأربعين عاماً، لا غير، كان للاحتكار الروماني
في الأندلس وحدها، ثلاثمائة مصرف تنزح من إسبانيا: ذهبها، وفصليرها،
ونحاسها، وفصتها، وحديدتها .

كما كان الاحتكار الروماني، يعاونه الاستعمار المتمثل في الحكومة
واخيشر، يسيطر عن طريق هاندس على تجاره المحيط الأطلنطي مع عربي
إفريقية، وفرنسا، وبريطانيا.

وفي مراحل مختلفة من سيطرة «روما» كان استعمارها يتسم بقسوة لا فحة
خليطة

فمثلاً كان الرومان يصطادون أهل «كورسكا» بالكلاب، لبيعوهم
عبداً !

(١) كتب هذا قبل أن تظهر الجزائر باستقلالها

وكانت الصرائف، تفرض على الأرض، وعلى الأملاك، وعلى الحيوانات، وعلى العيد !

صحيح أن الاستعمار الروماني، كان ينشد العمران، ويقيم المشاريع العظيمة في كثير من مستعمراته تلك..

ولكنه كان يفعل هذا، ليزداد دخله منها أي أنه كان يُسَمِّن البقرة، لتُدْرَ مزيداً من الحليب. !

فهي شمالي إفريقية مثلاً أقدم السدود العالية لاحتزان الرائد من المياه وعرس أشجار العاكة والرَبْتون، حتى قيل: إن المسافر كان يقطع الطريق من طرابلس إلى طنجة تحت ظلال أشجار الرَبْتون ولكن لم كانت هذه الخيرات تُجَنَّى وتُحْمَل ؟؟ لسادة روما وشعبها..

أما أصحاب البلاد الحقيقيون، فمجرد فعلة وعيد ! ولقد أراد «أعسطس قيصر» ذات يوم أن يكفى بعض صباطه وجوده عن حلاصهم به فأقطعهم «قرطجة» كلها.. وعاشوا هناك سادة وأشرافاً، يسيحون أهلها طفة دبا من الرقيق .



كانت «فلسطين»، إحدى مستعمرات هذه الإمبراطورية، يقطعها مليون ونصف مليون من الناس، يعيش بنو شيون منهم في مدنها الساحلية ويتركز اليهود في المدن الداخلية ويعيش شعبها ولاسيما اليهود، براعاً عنصرياً واضطراباً سياسياً

بين أهل يهودا، والسامريين، وبين الصدوقيين، والفريسيين عدوات دائمة، لا استعار ولكن مقتهم لروما تجمع بين قلوبهم المشتته.

لقد اصطنعت السماء يومئذ أنجع الوسائل وأجدها، فكان المعلمون الصالحون الذين يبيون لهم الخير والشر، ويميرون الخبيث من الطيب، ويقودونهم بكلماتهم الحارة الصادقة، وسلوكهم العاقل الناهر إلى المحبة والفصيلة، ويشكلون المجتمع على صورة تمنحه قابلية التطور الصالح، والتقدم السديد.

هذا كان عمل الأنبياء والمرسلين، قل أن تحلظه إصافات الأشيع، وتحريف المعارضين وهذا ما سبحاولة المسيح حين يجيء.



ولكن، قل أن تشهد بحبته، يحسن أن تلقي نظرة أخرى على العالم كله؛ فليس يكفي أن نعرف ماذا كانت «أورشليم» قبل ظهوره دون أن نعرف ماذا كانت كذلك - وفي نفس الزمان - طبيعة المرحلة التاريخية للعالم كله. المسيح، ومثله الرسول، لم يبقا ليوقدا شموعهما في أورشليم وفي مكة وحدهما، بل جاءا ليوقدا شموعهما للعالم كله.

ولقد كان على وجدان هذه الحقيقة

قال المسيح

«جئت لأخلص العالم».

وقال الرسول:

«إن الله أرسلني للناس كافة.. وأرسلني رحمة للعالمين».

ولقد حدث هذا فعلاً ولم تق دعوتها داخل القرى الصغيرة، بل تفتحت لها أبواب القارات الكبيرة، ولا تزال الديانتين المسيحية والإسلام، تخمران

هذا رسم بياني، للموقف كله، في العالم، الذي تسود معظمه الأناية من جانب، والمسكنة من جانب آخر. وفي الأرض التي سيقدّر لها أن تستقبل المسيح القادم.

تري، ماذا سيصنع به يهودها.. الذين طردوا انتظروه..!؟



في هذه الدنيا التي لمحمد، شهد «بيت لحم» ذات صبح بصير مولد طمس

لم يكن أحد الذين شهدوا ميلاده، بقادر على استجلاء المستقبل العظيم هذا الوليد النائم في مهد مناه في البساطة.

ومع هذا، فمن يعيب طويلاً شروق هذا المستقبل، وسوف يكر الطفل، وشبّ وتهاجر به أمه خوفاً عليه، ثم يعود فيسمع ليوحنا المعمدان، ويلقب منه الشرارة التي ستطلق قواه العارمة من مكامها، ويمضي هادراً، جياًشاً يحدث الناس في دعة وحلم ما داموا، يصغون إليه وُدعاء مسالين

ثم يجلجل فيهم كاندير - يا أولاد الأعاعي - حين يلمح في عبوسهم الماكرة نرايا العدر والكيد.

ولسوف تبدأ المسيحية في تقدير ما - من ساعة اللقاء العظيم بين «يوحنا»، و«المسيح»^(١).

فمن كان الذي شهد ذلك اللقاء خرجت القافلة أول ما خرجت إلى بلاد الناصريين، ثم إلى ما حولها، ثم إلى روما الجائية في انتهاز ضارع، ثم إلى أقطار شتى في الدنيا، والتاريخ

(١) أو نعلها بدأ - «أشعياء» وثوربه المسألة من أجل العداوة، والفصية وإسلام

فإلى هناك لنصير مشهد الشروق..



نحن الآن، على ضفاف الأردن . وهذا الرجل المبتل، الأشعث الآخر،
الذي يرتدي ثوباً من الشعر، ويعيش على غسل النحل، وعلى الجراد الخاف،
هو «يوحنا» أو «يحيى» عليه السلام

إنه عدد أوب، ليس معه من لذيذا شيء.. وإنه ليدعو الناس إلى التوبة،
ويعمدهم بماء النهر كي يساعدهم على تطهير قلوبهم. وإنه أيضاً ليُبدد في
عنف شديد بالنفاق.. وبالكهنة الذين (يعسلون أنديهم وقلوبهم ملائكة دماء)
ملائكة بالشر وبالحقد وبالأثام. ١١

وهو، وإن يكن في عزلته تلك، بعيداً عن الواقع السيئ الذي تموج به
«أورشليم» إلا أنه بهذا الواقع جد حبير .

ففي «أورشليم» هذه تلقى دروسه، وعاش من عمره بعصه، بين
الكهنة، والمريسيين، والتجار، وجنود روما وعملائها..

وهو شديد لخوف من الله، ومن عفاة.. وإنه لا ينسى أن هذه الرقعة من
الأرض، التي يعيش فوقها، قد اردهرت عليها ذات يوم «سدوم» ثم حسف
بها، وبأهلها، حتى لم يبق منها إلا عبرتها القاسية الرهيبة

وهو يستعيد ذكريات القرون التي كاس لها على اليهود وطأة شديدة،
فيصر وراء كل ضربة محققهم بها انقذار تلالاً من الخطايا ارتكبوها فأحدث
الرحمة صالحهم، وطالحهم.

أفيسكت عما يرى من حرائم وسيئات، أم يصدع بها في نفسه من حديث
سبع مضيء ؟

لكن «أورشليم» على بعد عشرة أميال منه.

فهل يتركه طعته يتكلم حين يأتيهم نساء، أم يسوقونه إلى نفس المصير الذي طالما ساقوا إليه أنساء وقديسين..؟؟

إن طبيعة الإنسان، هي الإنسان نفسه، وطبيعة «يوحنا» بكل ما تحصل من جيشان، وسكون من إعدام وحشية.. من تطلُّع وعزلة من نُسْتُ وتتل، وعيرة على الإنسان

هذه الطبيعة، هي يوحنا، وانه ليؤثر في الآخرين، بفعل طبعته إليهم. هكذا نحن بشر تأثرون في الآخرين، يعني أنا نصنع إليهم بالحرمة الأنوي من طبيعتنا .

وقد يكون الذي يتلقى التأثير، أقوى من المؤثر ذاته مع هذا، يصل لتأثير نفعه، وضرورته لأن يكون بمثابة «إشارة البدء والانطلاق»، ورفع الغطاء عن القوة الخبيثة المسطرة..

وشيء يشبه هذا، سوف يحدث بين يوحنا، والمسيح. لم نطن تفكير «يوحنا» فاختار طريقه، وواجه مسئوليته، ووسط حشد من الناس وقف يذيع أولى كلماته - «نوبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات»..!!

وطار بين البلاد نساء، وكثر سعي الوافدة إليه. ودات يوم، والمسيح عاكف على شانه الطاهر، يجوده، ويحسن تنشئته ورعايته، التقى بقافلة من قريته، أصحاب عائدون من شاطئ الأردن ذاك ويقتررب منهم في شوق ويسألهم:

- هل رأيتموه. ؟

- نعم.

- ماذا كان يقول لباس؟

- سمعناه يقول:

«من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام فليفعل

هكذا» ١.

وتفتّح روح المسيح، ويتهلل وجهه.. ويحس كأب كلماته. كأب
مادته.. أو كأنه أولى الناس بتقبلها، وحمايتها، وتحويلها إلى سلوك وسهج

«من له ثوبان، فليعط من ليس له» .

ما أكثر ما فيها من عذوبة، ومن رحمة، ومن عدل..!

وما أخراها بالنضحية في سبيل حق الناس عليها، سيما أولئك الشريرين
اللقابعين في «أورشليم» المخيفين وراء أروبتهم الفضفاضة، نموسًا تفوق في
اللؤم، اللؤم نفسه، وتكاد الجريمة حين تراها تصبح

مرحبًا بوصي..!

وعاد يسألهم:

وكيف يستقبل الناس؟

ويجيئونه:

إبه يفتح قلبه هم جميعًا، حتى العشارين لا يردهم، بل يعيدهم ويعطهم،
وحتى الحدود، لقد سألوه عم يصنعون ليرصوا الرب، فأجابهم:

«لا تظلموا أحدًا..

«ولا تشؤوا بأحد».

وازدادت روح المسيح إشراقًا ووَخْدًا، وأوى إلى نفسه يفكر ويتأمل..

إن الرؤى لعظمة الاسلة التي يحسها في أعماقه قد انطلقت صادحة عن

ضعاف الأردن، فلماذا لا يكون هناك في استقفاها؟

ومع أول قافله، شدّ رحاله.

وهناك، بين الصفوف المصغية إلى كلمات يوحنا، أخذ مكانه في خشوع وتقوى..

كان يوحنا يقول:

«أما صوت صارخ في البرية..

«قوّموا طريق الرب».

وشق السكون سؤالاً وُجّه إليه.

- هل أنت المسيح الذي بُشّر بمجيئه؟

ويجلجل صوته بإجابة سريعة حاسمة

«لست أنا المسيح.

أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتي من هو أقوى مني، من لست أهلاً

لأن أحل ميور حذائه».

ثم يفتح عينه حلاً على الوجوه الناضرة، وعلى للمحى الطويلة المتأمرة في

أصداغ الكهنة الذين جاءوا ليتأمرو به، ويد ينصر فوقها تحركات أحقاد

تتحرك وسحافات تتنادى، يبدده بصيحه راحرة:

- يا أولاد الأفعى!!

وينهر المسيح هذه القوة المتحدية

وحين يرل يوحنا إلى الماء ليعمد الطالبين، يتقدم المسيح إليه راحباً

تعميده، ويلفه يوحنا بظرة عريضة، ثم يهمس في سمعه:

«أما محتاح أن أعمدك منك، وأنت تأتي إلي»^{١٩}

ويختبج رأس المسيح متسائلاً، وننتمع أمامه مرة أخرى وسط هالة من

لضوء الدّان الكاشف، كلمات «يوحنا» التي صدح بها مد قريب:

«يأتي من هو أقوى مني»

ولكن الحوادث تترى في مفاحآت عجيبة، وفي بلدة موحدة .
 فجرد هيرودس في حُودهم المستكبرة، وفي «بطورهم» المنتصحة
 باحرام، يدهمون المكان الآمن الرديع، ويعتقلون «يوحنا» ثم يدهنون به
 ويعود المسيح إلى «الناصره» بروح غير الذي عاينها به يعود وداحل
 إهائه إنسان آخر، لا تشغله حرفته التي يكسب منها عيشه، ف«ليس بالحرف
 وحده يحيا الإنسان»، وإنما يشغله ذلك الدور الحديدي الذي يحس أنه دُهي
 لأدائه..

ونفس الصوت الذي سيسمعه «محمد» بعد ستينائة عام يرن في روعه
 رنين الصديق هتفًا:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر ١، ٢]

نفس الصوت، يرن الآن في روع المسيح:
 «أنت انبي الحبيب الذي به سُرت..
 للرب إلهك تسجد، ورياه وحده تعبد،
 ليس هناك ذرة من ريب في صديق الحسن الذي تلقى به محمد كليات ربه
 ولا ذرة من ريب في صديق الحسن الذي تلقى به المسيح بداء ربه
 فليس في حياتيهما أثر - أي أثر - لتصنع أو ادعاء.
 حتى كلمة «انبي» في عبارة المسيح لم ترغ عن مكانها، فحس جميعًا أساء
 لله، بمعنى أنها خلقة وأبوته لا، لا تعي تلك الأتوة الوالدة التي عرفها
 «دقير المواليد»، بل هي أتوة الخالق الأول، والأعظم.
 وعما قريب سنتقي بالرسول وهو يستعمل نفس التعبير، فيقول:
 «الخلق عيال الله..
 وأحب الناس إلى الله أنيعهم لعباده».

بل مسمعه يقول:

«يقول الله عز وجل: لا تسبوا الدهر؛ فأنا الدهر»

فهل الله حقاً هو الدهر، بالمفهوم الخرفي لكلمة الدهر ؟!

لا وإياها هو سبحانه، الدهر بمعنى أنه القوة الكبرى المسيطرة
والمشيئة مشيئتها في الزمان والمكان والتي سبقت من حلال رحمتها، وقدرتها
أسباب الحياة وطاقتها

وكذلك وصف الله بالأنوّه، فهو لقلب الكبير الذي يسبح بحمّانه ويره

أجل، جميعاً: صالحنا، وفاسدنا، قريب، وضعيفاً

وفيما وراء هذا، ستقي بالمسح، يعجب نفسه كثيراً بأنه «إنس لإنسان»

يُبد أن «إن الإنسان» هذا، لم يعرف فؤاده الدكي أية تحريم فاصلة بين

الأن، والرب

لقد تحطّى حدود النسب الأرضي، وجاوزها جميعاً.

حتى أمه، حين يقال له ذات يوم إنها والدك تريدك! يجب مر هي

أمي، ومن هم إخوتي ؟؟

«إخوتي وأمي هم من يعمنون مشيئة الرب»!!

هذا هو إنس الإنسان، الذي نعت الله بأنه أنوّه..

والذي قال: «كل غمر من لم يغرسه أبي السماوي يُقلع».

إنه الآن أمام الله وحدها لوحه إن حار هذا التعبير - وجميع الأحساب

والأسباب، والأسباب، ترأور وتحنّمي، وتذهب بعيداً بعيداً بعيداً

لأن القس الإلهي، المعطى لكل إنسان، قدس في المسيح، وتفوق وانتشر،

حتى ملأ وجوده كله، ولم يعد يبصر في صباه الباهر سواء حتى أمه التي

ولدتها، وحتى إخوته.

ارتفعت روابطه بهم إلى مستويات عالية من الواجبات انعامية الكبيرة التي تجعل من جميع البشر إحقوة له، ومن جميع الأمهات أمًا. ومن وراء هذا كله، أبوه السماوي ربه الذي أرسله، كما قال هو ليحضر مكسري القلوب، ويطلق الأسارى من القيود!!

لقد أسهب قليلاً في هذه المسألة، ولم يكن بد وقد جاءت ماستها، من أن نسهب ونفيض

والآن نعود إلى حديثنا الأول.

إلى يوحنا .

لقد اعتقلته جنود روما، جنود «هيرودوس» إلى حيث لا يستطيع بعد اليوم أن يلتقي بالناس، ويهدم في أنفسهم أوثان الطاعة لروما، وفيصرها، ولكهنة أورشليم.

أحل إلى السجن، حيث لا يلتقي بعد بالقلوب الضامئة إلى كلمة الله ولا بالنفوس الساخطة على الظلم والكذب.

دخلت ساحة الصال من بطلها المقتحم فهل سيطول بها العهد حتى توحش..؟؟

كلا، لقد قل يوحنا فل أن يمضي «يحيى» من هو أقوى مني».

فمن كان يجد في نفسه اليقين بأنه هو، فليقدم..

وكان هناك واحد يملأ اليقين رُوعه ووعيه..

وكان هو المسيح..

أو قد دقت الساعة .

أحل، يامن الإنسان فتقدم!!

وفوق مكان عال، في بيت خيم، وقف يبلع الحافيين حوله أولى كلمات

لحق

«قد كمل الزمان..»

«واقترب ملكوت الله .

«فتوبوا..»

«وآمرا بالبشرى»..»

ولندعه يتم حديثه لعذب القويم، ريثما نمضي في رحلة سريعة إلى مكة
لشاهد محي - أح له كريم، ولتقني بأولى سمات الرمال بين محمد والمسيح .



عَلَامٌ يَدُلُّ هَذَا الرَّحْلَ الصَّاحِ، الزَّاهِدَ، الْأَوَّابَ، أَهْلَ بَيْنِ الصَّحَارِي
وَالْجِبَالِ، الصَّارِعَ إِلَى اللَّهِ فِي نَجْوَى دَائَةِ:

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَابِ رَاغِبٌ مَهْمًا تُجَسِّسُنِي فَأَيُّ جَاشِمٍ
إِنَّهُ «زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ بَيْلٍ» يَغْمُرُهُ الْإِحْسَاسُ شَوْءَ آتِيَةٍ، وَيُودُّ لَوْ يَكُونُ
صَاحِبَهَا، مَخْتَارَهُ اللَّهُ هَا.. فَيَحْظِي بِكُلِّ مَا فِي هَذَا الْإِحْتَارِ مِنْ شَرَفٍ، وَيُؤَدِّي
كُلَّ مَا يَقْتَضِيهِ مِنْ حَقٍّ.

وإيه يبحوب الأرض وحيداً، مِدْحًا في دعائه، مَعْنًا في رحائه، مستهلاً إلى
ربه سبحانه، أَنْ يَعْطِيَهُ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ.

يكون هو النبي المختار.

أو يجمعه الله به إذا كان الاختيار من حظ سواه..

كان «زَيْدٌ» هذا - كما نعتة المؤرخون - راجع العقل، قوي الخلق، دكي
الفؤاد، ثاقب البصيرة.

وهو في إحساسه العميق بمقدم نبي، لم يكن مسجماً، ولا عَرَّافاً، بل كان
رجلاً ممنوح العيين على واقع البيئة، وروح العصر، فأدرك وجود حاجة

تاريخية ملحّة، تنادي مصلحًا.. مقدّمًا رسولاً .

ولم إحساسه بحتمية هذا المحي، حدّا عيّن له ميقات ظهوره اليوم

أو غدًا . ولن يتأخر إلى بعد غد على الإطلاق !!!

إن هذا الحسّ انصاف لاس بهل، يشكّن ويمثل ضرورة تاريخية كانت

تشر فعلاً بمحيء محمد .

وهكذا، وبعد ميلاد المسيح بعراة «خمسةائة ومسيين عامًا» جاء في رحلة

عصيمة إلى الحياة، واحد من أعظم أنبها شتًا، وأكثرهم برًا، وأهداهم
سبيلًا

وكما لمح البيئة الخاصة والعامة، التي كانت حين جاء المسيح تريد

أيضًا أن تلمح البيئة الخاصة والعامة التي كانت، حين جاء محمد عليها

صلوات الله، وبركاته، وسلامه

● كان العرب منوثين في حرية مرامية، يرحر شملها، مثلما يرحر

حوبها بالقصب الواسع، وبصحراء معارية، وتقوم القبايل بأسحت لدائب

عن لقمتهها، وعلى حراسة عدادها، وعاداتها . وسرهم الحياة بطنة،

كحطى الأعم في مشيها اليائس وراء عشب تأكنه وترعاء ١

● ولكن هائل قرى كبيرة تتجمع فيها مراكز الحياة القننه.. مثل مكة،

والمدينة، والطائف، في شمال الحزيرة

وفي وسط مكة . انني سسعتها نهران حن برون - بأم القرى يقوم بء

متواضع، لكنه هائل التأثير، مقدس المكانة.

إسها الكعبة

● وفي الكعبة مردحم من الأصنام الطارئة، في كانت كذلك في أيامها

لأولى

أما اليوم، فلكل قبيلة، أو مجموعة من القبائل صمها لعبود.
يعدر الدس، ويروحون ثم ينتهي تطوافهم دوماً إلى هذه الأصنام
يثوبها حاجاتهم، ومخاوفهم، وآمالهم.

● في جنوب الجزيرة، أو شبه الجزيرة، يحكم الفرس النديين بصرى
ملوك بخير على الأحباش، وينحدون من اليمن قاعدة لحكم سافر ناره،
ومقّع أخرى. ويسوف يظل هناك حتى يطش أتباع الرسون المقل
بإمبراطورية الفرس كلها

● وفي الشمال، حيث الحجر، يسيطر أشراف قبائل، ورؤساء
العائلات والعشائر، يصلهم الساحل لعربي بمراقى، سحر الأحمر وبحرته،
ويساح الطريق أمام قوافلهم وتجارهم حتى بلاد الشام..

● وهذه الشعب الصبور، شديد التعلق بحريته، فدأولاءها، لا
يرصح لأي حكم خارجي، ويؤثر شطف الصحراء، ولأولاءها، لأن صعبها
المترامي، وآفاقها البعيدة، وحياتها لمطلقة كل هذا، يعدي في همه الطامحة،
حيثها الأيدي إلى مزيد من الحرية ولا إطلاق.

ولكنه، على الرغم من هذا - وإنه لعجيب - يحرص للأصنام خضوعاً
مدلاً، فأدم لحر الصامب العاخر، يسبح كبرياءه وأعداده، ويسلم أمره
ومصيره ويستهل، وينحني، ويرحو، ويحاف...!!

● ثم إنه على الرغم من بدوته، يمارس حياة أدبية رفيعة.
فالشعراء يمثلون فجاجه وللشعر كما ينثر - أعياد ومواسم تشد
إليها الرحال، وليس هذا محسب.. فالإنتاج الأدبي المتفوق نجار ويكافأ، بأن
يرفع إلى أقدم مكان، فيعلق بأسر الكعبة، حتى ولو كان هذا الإنتاج
بصور معامرة حب، أو ليلة حمراء..!

وعن طريق القصة المنظومة، كان يؤرخ لنفسه، ويعبر عن تجاربه تعبيراً
فيّاً عجيباً!

● وفي طرقات مكة، كنتَ تسمع صهيل السدّة وثُغاء العبيد.. وتلتقي
بالطائفين حول البيت العتيق، وبالمخمورين الذين أصنافهم طول السهر في
عرف العاهرات.. رقلها تبصر شعائر بيهاً صحيح عاقل.. فإذا عاودنا مكة
إلى العالم، وجدنا شيئاً قريباً مما كان، قيس ظهور المسيح.

● في الشرق لأقصى: تفيق اليابان على صوت المدية القادمة إليها من
الصين، وكوريا، والبوذية..

● وفي أهد. تمرقات داخلية، وحروب أو تنس أهمية متساوقة..

● والصين: مشغولة باسترداد الأقاليم المحجورة التي خرجت عليها
بعد سقوط أسرة «هان»، ثم لا تلت أن تستقبل عصرًا من السلام، والرحاء
جداً عجيباً!

ومراكبها المترعة بحيراتها، تمنطي ثبح لبحر، قاصدة الشعور البعيدة على
شواطئ المحيط الهندي، واختليج الفارسي..

الثقافة، والأدب، والعن في أزهى عصورها.

ولعلنا - الآن - ندرك سر وصية الرسول التي سيقولها هيّا بعد: «اطلبوا

لعلم، ولز في الصين»!

هذا هانك

أما هان: فكانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية، والإمبراطورية
فارسية، تخاصان من أجل المستعمرات في الشرق الأدنى، وفي أوروبا،
حروباً مقيية!

فجستيان يخرق الهدنة، ويهاجم شمالي إفريقيا، وإيطاليا.. ويرد

أتوشروان السحبة بمثلها، فيحتاح بلاد الشام، وتسقط في حجره كل ثروات،
وخيرات «أنطاكية» ١

ثم يعقدان الصلح.. ثم يعودان للحرب.. ولسوف يظل بأسهما بينهما
شديداً، حتى يزحف عليها بعد وقت قريب. أتباع رسول كريم فيديعون
بني الإمبراطوريتين الأفتين.

أما اليوم، فيسها في حروبها المحولة من أحل السيطرة و سب، تسطأ
سلطانها على الشام، والعراق، وسوريا، ومصر . وتسومان الدس خسفاً
وضكاً.

وحين يعود إلى حيث كنا، إلى الصحراء العارية . إلى الكهوف والنادية .
إلى ديا الأصنام، والألام، وإيسر . سسمع صوتاً جديداً، يلقي حديثاً
عجلاً.. سسصر إساناً حديثاً يذرع الوجود في رفق وأدة

إنه هو الذي كان «زيد بن عمرو بن نفيل» يلح في السح عن والدي
كان الزمان والمكان يتطلبانه، ويتطران قدميه.
إنه، محمد..

«أحرد اساس كفا.. وأحراهم صدراً وأصدقهم لهجة. وأوفاهم
دمة . وألينهم عريكة.. وأكرمهم عشرة» إنه قائم بين نفر من الذين يصعون
إليه هناك . في ذلك المكان البعيد عن أعين الرماء، يحدثهم عن الله

﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ خُبْرٍ وَأَمْسَهُمْ بِشِ حَوْيٍ﴾ ٢؟؟ [فريش ٤]

الخبز، والخوف..؟؟

يا لها من بداية جريئة، وسعيدة!!

ويتحلق حوله حراس العديم، وعُباد لأصنام، فيهمس إليهم

﴿قُلْ يَتْلُهَا الْكُفْرُوكُ﴾

﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢

﴿وَلَا أَسْتَعِينُ مَا أَعْبُدُ﴾ ٣

﴿وَلَا أَنَا عَبْدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ٤

﴿وَلَا أَسْتَعِينُ مَا أَعْبُدُ﴾ ٥

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ٦

وهذا أيضاً، كم هو رائع..!

إله «تعايش سلمي» بدعو إليه محمد، أولئك الذين برزوا مسكرين
لعداوته وحربه

ولكن، لقد بركا في فحرب السريعة هذه، مشهد الشروق.
فإلى وراء قليلاً؛ لرى الأمل، وهو يولد.. والرشد، وهو ينمو
والرسول، وهو يتسلم وثيقة الاصطفاء، وأمر التبليغ
سبح، الآن في شغب من شغب مكة ومكة المتوقدة حاكمة على حياتها
ويولد طفل يتيم، تتلقاه ذراع أم حانية، لا تلتصق هي الأخرى أن تعادر
ديها، تاركة ويدها في السادسة من عمره عصاً، وحيداً.
ويشب الطفل، شاباً سريعاً نضجاً وتقع عيناه على أصنام قومه
وعلى لباس الحاقين بها، الحائذين أمامها، فيأخذه تفكير ذاهل شديد.
أنكون هذه الحجارة المركومة آلهة حقاً ١٩

ويستأني طويلاً، قل أن يقل عيناها، أو يعرض عنها، ويأوي إلى نفسه
مفكراً، ثم ينتد منها مكاناً قصياً، بعيداً عن اللحاح، والمؤثرات، هالك في
دار حراء، حيث يستجمع قوى إلهه، ويصقل كل استعداداته الروحية،
والعقبيه، ويهيئ لكل القوى أن تحف لسجده، وهدايته، إن كان ثمة هذا

سبيل

ثم يعود إلى البيئة . إلى الأصنام، والضوضاء، وانتقاليد والأساطير، وكل ما يشكر حياة الناس، ويطويهم في موجات رحامه.

ويستعرض ذلك جميعه ببصيرة مجلوة، قد أروعها طول التعبد، وصفاء الوحدة، وإلهام العرلة المفكرة.. وتفترب حقائق الأشياء من بصيرته، فيراها أكثر مما يراها سواه

ويعود إلى «العار» في ميقاته المعلوم، ويثر بين يدي وعيه، تجاربه الحدية، وكبى برعت به حاطرة، لم يتوار منها، وم يهرب من مسئولية تمحيصها، والتفكر فيها

وثقته بنفسه حد عظيمة. وحياته، وسلوكه، وعلاقته الصادقة بالحياة، تشد زناد الثقة فيه إلى أقصاه .

ليس في قريش من لا يدعوه «الأمي»

وليس فيها من لا يشهد له بر ححة العقل، وعظمة الهج، واستقامة الضمير..

وهو بال هذه الثقة بطبعة مبية مفتوحة، لا التواء فيها، ولا محاولة له «سبيج وحده» في غير تصع..

● اناس يحكمون على أصنام هم..

أما هو، فشيء في روعه، يقول له: قف!

● اساس، يلعبون الميسر، ويستقسمون بالأزلام، ويظلمون الأرملة، ويأكلون مال اليتيم.

أما هو، فشيء في روعه، يقول له: ارجع!

● اساس يعيشون بالوراثة والمحاكاة، شعرهم «إيا وحذب آباءك كذلك

يفعلون»

أما هو، فشيء في روعه، يقول له: فكراً

إذن، فهو إنسان محيا داخل هالة عظمة مضئنة من اسماء ممتازة متفوقة.

ولقد عانى واجبات وجوده على أمثل طريقة، ومارسها منذ البدء، في مستوى عال، لا يطيقه سوى أوبي العزم من الرجال ومع الأيام، تنضج شخصيته، وتفتح رؤى

ويتمو وعيه الداخلي نموًا تصيق به داته، وتحتشد قوى نفسه، وإهامه، وتفكيره وعزيمته، احتشادًا، يتعاطم كل تلث، وكل أداة، وكل انتظار. ويهل عليه، ما كان يرحو ويتطر. أدن من الله بالبدء.. ويقين بأنه صاحب الدور، ورائد المرحلة..

وذا ب يوم.. والصبح إليه، يصف ما حدث:

«.. جاءني الملك فقال: اقرأ.. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني، فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ.. فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم».

وهكذا، يلتقي «الرسول» بدوره، ويحمل الأمانة انكبرى، وبعضي في حذر أول الأمر. ثم يجهر بها ويصدع حين يقول له ربه الذي اختاره واصطفاه: ﴿فَأُصْدِعْ يَأْثَرَهُمْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الجن: ٩٤]

ولسوف يواجه من الأذى، ومن الكيد، ومن العناد ما يزيده إصراراً وعزماً.

ولسوف ينتصر في معركة الإغراء، انتصاراً نيلًا، تاركًا كلماته الهادية لعظمة، درسًا لا يرتجف صياؤه.

«و الله يا عمّ بر وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يقصيه الله أو أهلك دونه»..
سيدعو بالحكمة والموعظة الحسنة..

فإذا أحاطت به العدوات الباعة في مكة، هاجر بدعوته إلى المدينة.
وإذا اضطره أعداء الحية الحديدية، الطاهرة، العادلة التي يبشر بها إلى القتال، قاتلهم غير معتد، ولا مسرف..

فإذا أظفروه الله بهم أحير، صارح إليهم بالسجدة وبالأمن
«ذهبوا فأنتم الطلقاء» .

وعلى طريق حياته الدهرة، سنرتسم، إن الأند آثار قدمي رجل
واسن.. ورسول..

وبعد.. فماذا كن محمد والمسيح يريدان. ؟

ما العرص العظيم الذي سارا على طريق الرب، ليسعاه وليحققاه . لقد
نَشَرَ كثيرًا بملوكة الله وَخَوْفَ كثيرٍ من عقابه وَأَدَنَّا في الناس شعائره،
ومناسك، وعمادات..

فهل كان هذا وحسب، غاية سعيهم. أم كن أسلونا ووسيله لحمل
الناس على إدراك شأو بعيد، وأمر جليل؟

لقد قال المسيح: «جئت لأخلص العالم»..

وقال محمد: «إنما أنا رحمة مهداة».

هيدا كانا يميان...؟

من أي شقاء، سيخلصنا المسيح...؟

ومن أي عاء، سيرحمنا محمد...؟

وفي التحليل النهائي نهجها ولمواقفها الزاحرة المشرقة ماذا

سنجد، هناك من كُباب خالص محض...؟؟

وبعارة واحدة

ماذا كنت وجهتها؟

أما أنا فأقول:

كنت، إسهاض الإنسان. وإزهد الحياة.



الفصل الرابع
معًا من أجل الإفصاح

الإنسان...

هذا الاسم، ذو الرنين الصادق، الماتن، المُثير
هذا نكاث، الذي اُزُتْمِنَ على أمانات الحياه وراحاسها
هذا لمسافر، الذي لا يصح عصاه عن كاهنه لحظة، والذي يُرلي وجهه
دوماً شطر كمال بعيد...!

هذا الإنسان، في عمله وجهه في ثرائه وفقره في حربه وأعدائه في
تقوه وفجوره، في صحته وسقمه، في ألمه وأمله في عظمته ونُؤسه.

كيف تراءى لمحمد، وللمسيح؟

ما نوع الوحبات التي حملها تجبه؟

ما الأعدال التي حطَّها عنه؟

ما الانتصارات التي حقَّها به؟

من هذا المدَّخل سمصي، سائرين وراء ضياء بهر، يفودنا نحو ما يُهما

اليوم معرفته من رسالة عيسى، ورسالة محمد...

ربسوف يكون من حس حط الإنسان في محنته القائمة أن يبصر

عبادة الله به إلى كل هذا المَدَى الذي لم يكن يتحدسه، ويحاله، كما سيكون من

سوء حط أعداء الإنسان، أن يظهر للناس حقيقة موقف الرسولين لكريمين،

من الإنسان، ومن حقوقه في هذه الحياة

قرأتم أن المسيح رفض مُثْلَ يهود، كما رفض الإدعاء لإرهاب

رؤسائهم، وطلب إليهم أن يحنوا به وين كلمة الله، يريد أن يقولها.
وقرأتم أن محمداً رفض أن يعطي الشمس في يمينه، والقمر في يساره،
على أن يترك الأمر الذي من أجله جاء.

فما الكلمة التي قامها المسيح، وحرص أعظم الحرص على أن يقولها؟
وما الأمر الذي أثر محمد تليعه، على مثلك يحذه شمس، والقمر؟
إنهما لم يحدث بدعوة مجردة، بل بدعوة داب موضوع حارس عظيم
فماذا كان الموضوع؟

لقد كان الإنسان، وكان الحياة.
وأول ما يهزنا في عنايتهم بالإنسان، ذلك التردد المُعجز لاسمه،
والخفاوة الصادقة به.

فالمسيح يبعث نفسه بأنه «ابن الإنسان» ويكررها كثيراً.
«ب - ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل
ليخلص»

«ها نحن صاعدون إلى أورشليم، و ابن الإنسان - يسلم إلى
رؤساء الكهنة»

«لا يذقون الموت حتى يروا ابن الإنسان - آتياً»
«ومن قال كلمة على - ابن الإنسان - يُعمر له»..



«لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان»
«ب - ابن الإنسان - ماض، كما هو مكتوب عنه» .



«كذلك يكون - ابن الإنسان - أيضاً لهذا أخيل»..



ويتحدث القرآن الكريم المنزّل على محمد عليه الصلاة والسلام،
يتحدث عن الإنسان، فيعطيه صفته الحقّة، كمُخَوَّرٍ لشاغلٍ لبيّ،
وموصوعٍ لرسالته:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [البشر ٤]
﴿وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم ٦٧].



﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [الاعارج ١٩]..
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق ٦، ٧]..



﴿وَلَا تَنصَحْ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَتَأْتِيهِمْ بَغْيًا﴾ [الإسراء ٨٣].



﴿وَلَا يَمَسُّ الْإِنْسَانَ أَثْمَرُ دَعَايَا لِحَمِيمِهِ﴾ [يونس ١٢]
﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف ٥٤].



﴿وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ [الإسراء ١١]



﴿إِنَّا عَرَصْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب ٧٢]

أنتستم تجدون تكرار كلمة «الإنسان» مبهتاً وثيقاً من احسان والبر، ومن العناية، والاهتمام، يصله بالله، وبمحمد رسوله؟

إن الإنسان، هو موضوع الرسالة إدى، رسالة محمد، ورسالة المسيح ونحسب هذا من البداية بحيث لا يحتاج إلى تقرير

ولا، فهيم كان محيى الرائدتين الشاهقين والرسولين الكيريين؟

● ولأسمها نعتاً من أجل الإنسان كانا إنسانين . كان رجيين من الشر اشين من عاد الله ومن أولاد آدم.. يأكلان الطعام، ويمشيان في الأسواق.

ولم يجيئا مسكينين لم يجيئا من عالم غير عالم، ولا من طبعه غير طبعنا، بل لم يُخلَق في خَلْقٍ يعاير خلصا

﴿قَدْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُنْشَوْنَ مُطْمَئِنِّينَ نَرَكُنَا عَلَيْهِمْ

يُرَكُّ أَسْمَاءُ مَلَائِكًا رُسُلًا﴾ [الإسراء ٩٥]

هكذا يقول الله سبحانه، وهو لم يُرَلْ ملك؛ لأن الإنسان الصامد أمام بحيرة الحياة الإنسان الذي حمل أمانة الوجود بعد أن أشفق من حملها، وتسخى عنها حلائق كثيرة كانت تسير معه في سباق التطور العظيم الإنسان هدد، خليف بأن يتلقى من نفسه، اندرس والمثل وإدى، فتأت زُسْله مه.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة ١٢٨].

● ومن هه، يبدأ تقرير محمد والمسيح للإنسان

يبدأ من إمعانها الكبير في تركيد مشربتهما، وإعلان إنسانيتها، ووضع وجودهما داخل هذا الإطار دوماً..

ولقد كذا، وهما يرفضان الشطط في إطرانها والعلو في تقريرها إلى

يقرر ان القيمة الحققة للإنسان..

كأنهما يقولان لمن يحاول سلبهما من شريتهما
أي مقام هـك أسـمى وأعظم، تريد أن تذهب سـا إليه !!؟
وماذا فوق الإنسان من حـلق..؟
الملائكة مثلاً..؟

إسـم في خدمة الإنسان الصالح الكادح
وحين أراد الله أب بصطفى سـمـه حنفاء في الأرض، تعـلى تربيـت
الملائكة، صـارعة، متـهـلة أن يـكـونوا أصحاب اخط في هـذا الاصطفاء
لكـن الله رـمى «لإنسان» بعـي حـاية، وشارـحـوه في حب عامر وقـد..
هـذا هو الحـيـفة..!

إذن، فالإنسانية، هي الحنسية اشرفـة التي يـحـملها المـسـيح، ويـحـملها
أخوه، وهـما سـا جـد فـحـوزين.

عيسى يقول

أنا ابن الإنسان

ومحمد يقول:

أنا بشر مثلكم.

ويؤكدان هـذا المعنى أكثر، وأكثر، حين يـنـهى المـسـيح من أهـلى صـلاخـه

فيقول له:

«من قال إني صـيـح؟! ليس من أحد صـالـح سـوى واحد، هو الله»

ويطلب إلى تلامذته ألا يـعـتـوه بالمـسـيح. !

ويـنـهى الرـسـول أصحابه حين يقولون له أنت سيد، ويقول لهم

«لست سيـداً لأحد؛ إنما أنا عبد الله ورسوله»

كان حرصهما على أن يظلا في وعي الناس مخزود بشر، اعداداً بدور
الإنسان، وعتاراً بالشرية نفسها، ورعية أمة في الحلة داخل إظهارها،
وطبيعتها

حتى معجزاتهم

لم تكن عجي - كما نحولنا أن نفهم - أنها عادية صفوف، بشر فكل
عمل عادي يتم بأسلوب غير عادي، شكل معجزة وإن ذلك يبدو
واضحاً في أعظم معجزات محمد وصاحبه.

وأعظم معجزات محمد، هي محمد نفسه
وأعظم معجزات المسيح، هي المسيح ذاته
فماذا هالك؟؟

إسما، بشر مثلاً، يعيشون على ذات الأرض، ويشربون من نفس الماء،
ويأكلون من نفس الطعام..

ولكن الأسلوب الذي اتبعه في مسح جانبيهما، يعظيمنتين، لم يكن أسلوباً
عادياً

من كان متوقفاً، وحارقاً.. فكانت المعجزة
والقرآن مثلاً - كلام ملفوظ ومسطور، والكلام شيء عادي، لأن
البشر جميعاً يتكلمون

وبكن، لأن هذا الكلام يقرأه جاء بأسلوب غير عادي، فقد صار
معجزة، ومعنى أنه جاء بأسلوب غير عادي أن الإنسان الذي جاء به أمي،
لا يقرأ ولا يكتب وأنه يدر في إعداده نفسه وروحه كي يستطيع تلقّيه عن
ربه، جهوداً، أكثر من مصصة، وأكثر من حارقة

ولمسح، حين شهى الموصي اليائسين، وحين يرد إلى السجاء من افروبو

من غيوبة الموت، إنما يمارس عملاً عادياً من أعمال البشر، وهو التطبيب،
والعلاج

وبكس، لأن شفاءه لمرضى يسم بأسلوب غير عادي، وهو لمسة كف أو
بطرة عين.. فهذا يكون العمل معجراً

أحل لقد كانت القوة الخارقة التي يرد بها المسيح العافية إلى المرضى،
والتي يرد بها الموت عن الحياة المتعلقة بأحر حيوطها كانت قوة نابعة من
داته

ولكن داته، لم تكن مثل دواتنا بل كانت مؤهلة بعطائم الأمور، معنّة
بطاقات فريدة وهائلة.

وفي حياة المسيح بدأ يصور هذا المعنى، ويجسمه، يرويّه إسحيل «لوقا»:
فذاب يوم، كان يعبر الطريق، ومعه نقر من تلاميذه، واقتربت منه في
رحمة الخافين حوله، سيدة كانت تعاني نرباً مزماً وفي إيمان عميق واثق
لمست هذب ثوبه.

وتوقف المسيح عن المسير فجأة، وقال

- «من الذي لمسني..؟».

ويجب تلميذه، بطرس:

- «يا معلم! إنها الجموع تضيق عليك، وتزحمك»..

ويعود السيد المسيح، فيؤكد أن أحداً لمسه؛ لأن قوة حرحت منه:

- «لعد أحسست بهوة تخرج مني»..!!

قوة تخرج منه..؟؟

أي تفسير عجيب للمعجزة. !؟

لكأنه آت من عقل رياضي، وليس من قلب مسيح..!

إن الإنجيل يتم هذا السأ، فيخبرنا أن ابنة زايلى المرأة المريضة في نفس الوقت

وهكذا، يساعدا المسيح على فهم المعجزة، وإدراك ما حدث حين يقول:
إن قوة خرجت مني..

والذي حدث ساعتئذ، أن رعة إنسانية، مؤمنة مستسلمة، تعلقت بطاقة
شرية غامرة، طالبة منها العود على الشفاء والخلص..

حجر استقبال سوي، التحم بجوار إرسال قوي، فتلقى عنه في نفس
اللحظة والوقت..

أجل، فلم تكن بسة عابرة مسترخية مسترنة، تلك التي نبتت المسيح إلى
جزء من طاقته يخادرها وينفصل عنها بل كانت بسة هاتعة، داعية،
صارعة، متهددة

كانت إيماناً مفعماً، يتحسس طريقه في ثقة واستنهاض، إلى ملاد هو
وحده - وفي تلك اللحظة بالذات - الأمل الأوحى، والرجاء الأعز

ولقد أراد المسيح أن يؤكد لتلاميذه، بدين بهرهم شفاء المريضة، أن يسس
في الأمر شيء غير طبيعي، فأشار للمرأة قائلاً:
- «إيمانك قد شفاك» .

«أذهبي بسلام»!!

هذه المعجرات، لم تكن - كما قلنا قديماً - حروخاً بارسولين لكريمين
عن صف الشرية

كما لم تكن تغريراً ببسطاء، وكسناً لإيمانهم فاذي لا يهديه إن الإيمان
بور الشخصية، وجلال العمل، لى يهديه شيء آخر..

● ثم إن عمداً، والمسح، لم يهتأ شيء مثل «هنامهما بأن يُحررا السطاء

من عقلتهم وسداحتهم، ويحرّر الذكاء الإنساني مما يُوثقه من رواسب الرؤى
المغلوطّة، والأساطير الموروثة

لقد حسفت الشمس، يوم مات «إبراهيم» ابن رسول الله.

وقال أصحابه: «إن الشمس حسفت لموت إبراهيم» ..

أفلم تكن هذه فرصة طيبة للرسول، لو كان مُتَجَلِّلاً أمحد ؟؟

بلى وليس عليه إلا أن يصمت، ويدع العبارة التي قالها أصحابه

نتشر. ولكنه لا يفعل. ولا يسعى له أن يفعل. فينادي في أصحابه قائلاً:

«إن الشمس واقمر آيتين من آيات الله.. لا يحسمان لموت

أحد. ولا لحياة» !!

ومثل هذا الموقف العظيم.. موقف المسيح.

حين جاءه «ييرس» رئيس المجمع يُولّو، ويكفي فوق قدميه بقلبه

أمام الكافة، ويتوسل إليه: كي يذهب إلى ابنته التي ماتت ليرد إليها الحياة

ويدخل المسيح على الست، وأهلها حولها، يروحون، ويصيحون، ويُنْقِي

على الجسد المسجّى نظرة طاهرة قادرة، فيحرك الجسد تحت عطاءه

وتتحور الصبغة الساكنة الحزينة إلى دهشة، وفرح، وصباح..

«إن المسيح أحيّاها» !!

ولكن الصادق العظيم، يشير إليهم بكفه المصيبة، حتى إذا صمتوا قال

لهم

«إنها لم تمت.. لقد كانت مائتة» !!

تأملوا هذين الموقفين جيداً موقف محمد من خسوف الشمس

وموقف المسيح من ابنة «ييرس»

ثم اعلموا أنكم أمام أروع مثل لتكريم الإنسان، ولا احترام عقله،

ولتحريره من غوغائيته وسذاجته.

والرجل العادي.

إن النظم، وإن الخصارات، لُمسخر بمدى ما تُقدم لرجل العادي من خدمات، وما تهنيء له من فرصة . وما تصفيه عليه من تكريم ذلك، لأن (الرجل العادي) يمثل المجموع، ويشكل دوماً أكثرية المجتمع والأمة

واسطم القومية، والقوانين العادلة، إنها تُسر في الحقيقة لحماية (الرجل العادي)، وإرباء حظوظه في الحياة.

وفي المجتمعات التي تقوم على التمايز الباطل، يقع (لناس العاديون) فريسة لطقة معينة من الأشراف والسادة، يلقون الرعب في قلوب غرماهم وصحايهم، ويستحودون في صفقة وفُجر على حقوقهم وأرزاقهم.

وفي مثل هذه الأوصاع، تتمثل حماية (الرجل العادي) وتكريمه في إعطائه الأوبوية التي يستحقها كدحه، ويعمله.. ومنحه التقدير الأدبي والمددي الذي يرشحه به طول نلائه ثم تكون بزجر تلك، بعصبات الصالة المتطرسة الشهارة التي تفنك بالعدب، وبالحق.. وعزلها عن عرشها الزئف المعتصب

تري، ماذا كان موقف يسوع، ومحمد. من انرجل العادي ؟

الإنسان الذي لا حول له من مل، أو جده، أو منصب !!

المستضعف، الذي طالما يُتخذ ظهره مرعى لسياط الطعنة !!

الكادح، الذي طالما يصططع عرقه بيذا، يكرعه احياة. ا

الحق أن موقفهما مع (الرجل العادي) يهر الألب.

وسبصرهما الآن، وهما يجديان (الإنسان العادي) هدر، ليأخذ مكانه في

النصف الأول

ثم، وهم يبهالان على كبرياء الأشراف الكبرياء، فيمحقها محققاً !
ولسداً بالمسيح



هل تنصرون هذا القائم هناك وسط هاله من صعد روحه وفي يمه
سفر «أشعيا» يقرأ منه ؟؟

إبه هو، عيسى روح الله وكمته، فلصع إليه
«روح الرب مسحني؛ لأبشر المساكين
«أرسلني، لأشفي منكسري القلوب
«لأنادي للمأسورين بالانطلاق..
«وللعمي، بالنصر
«وأرسل المُسَجِّقِينَ فِي الْحَرِيقَةِ»...!
وهذا أيضاً لطلُّ من بين الخشود الخافة حوله.

إبه هو، يتحدث

«طوباكم أيها المساكين؛ لأن لكم ملكوت الله»
«طوباكم أيها الجياع الآن، لأنكم تشبعون»
«طوباكم أيها الباكون الآن؛ لأنكم ستضحكون» !
إن المسيح يحدد مكانه في المجتمع حين يستشهد بكلمات أشعيا،
ويتحدث بها كمراس له، ومهاج.
إبه مع المساكين؛ كي يبشرهم.

مع منكسري القلوب؛ ليحرق قلوبهم
مع المأسورين؛ كي يحطم أعلاهم ويصلقهم

إيه مع (الإنسان العادي) الذي ليس معه من مال الدنيا، ولا من جاهها،
ولا من سلطانها، ما يرد إياه حقوقه التي اعتصمها منه الدين هم فوق
لقد ستح أساس العاديين بأقوى الأسلحة لإيمان والأمل، حين قال هم
بسان الرب القدير طوبى لكم

وقفز بمكانتهم الاجتماعية إلى الصدارة، حين جعلهم من الأهمية إلى حد
أن يرسل الله من أجل حمايتهم، وتصحيح أوضاعهم، رسلاً .
«روح الرب مسحني لأبشر المساكين» ..

«أنادي للمأسورين بالانطلاق»

إن هذه العبارة وحدها «أنادي للمأسورين بالانطلاق» لتمثل المفهوم
الثوري لدعوة المسيح، وتشير إلى الخطوة الكاملة التي كانت مسندى حلال
بصالحه من أجل الجماهير المهضومة. لو قدر لأيامه على الأرض أن تطول
هذا الروح الكبير، الذي كان يعبر الطريق، باحثاً عن مفلوح، لشفه
أو مصروع، ليداويه

ولدي يوصي كل مؤمن به؛ فيقول

«وإذا صنعت ضيافة، فادعُ المساكين، الخدع، العرج، العمي

فيكون لك الطوبى» ..

إيه يصحح بهذه الأساليب الملائمة للبيئة، والعصر، وضخ (الرجل
العادي) في مجتمع ينتهك حقوقه ويزدرجه.
لكن هذا، لا يكفي.

وكن إيماناً بالكرامة والأمل لذلك الكائن المقروء المرتعش - خلق بأن
يذهب تَدَدًا تحت وطأة الإذلال لموصول، الذي يصطه عليه ضئاً، السادة
لأغنون.

إذن، فلحساب (الرجل العادي) يقرر المسيح أن يحوض معركة كبيرة مع أولئك الأشراف.

أولاً: ليزجر عرورهم، ويفتح أعينهم على آثامهم ومطالبهم.
وثانياً ليُعري هم أولئك المستضعفين الذين يترنحون؛ فرقاً منهم وخوفاً.

ولقد فعل ..

وبدا بالطبقتين التين كانت هما على الساس وطأة مميّنة: طبقة الكتبة، وطبقة الفرّيسين.

وأمام حشد هائل من الناس، واجههم ذات يوم ووقف «ابن الإنسان»
ينفجر ذكاء، وعُفراء، وصدقاً.

وقف وحده، أعزل.. لا مال، ولا سلاح، ولا عصية، ولا حرب.
وهذا، هو الدرس.. فلو أنه قوي، غني، مُدَجَّج بالأنصار المتحمّزين، ما تركت كلماته المقسمة في أنفس المستضعفين أثرها المرتجي، ولا حركت فيهم إرادته التحدي، والمقاومة.

إن الدرس لنافع، حين يُدْعِدغ كبرياء العصاة المستعلية، رجلٌ يُمثل
حالة الحماهير تماماً..

أعزل، مثلها هي عزلاء..

فقير، مثلها هم فقراء.

مضطهد، كما هم مضطهدون..

ولقد وجد الرجل .

وجد روح الله وكلمته.

وها هو د..

الحموع من حوله، وقد تعلقت به أبصارهم في ابهار ووحل..
 ودهاقنة الطبقة المستعينة، أمامه، وجهًا لوجه. لا، بل وجوهًا مكسرة
 داوية. أمام وجه مُتهلل، وجنة عالية.
 وفي سخرية ماحقة يسأله: «على كرسي موسى».

«جلس الكنة، ولقرّيسيون...!»
 «فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه ولكن حسب
 أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ما لا يفعلون». !!
 وتبعث هممة استنكار من جانب الشّادة، ولكنها تتلاشى سريعًا في
 حصر الإعجاب الذي جاء من جانب الحشود..
 ويستأنف حديثه عن أشرف «أورشليم» الممثلين أمامه في الكهنة،
 والكتبة، والقرّيسيين، فيقول:

«إنهم يجزمون أحمالًا ثقيلة، عسرة الحمل، ويصعونها على أكتاف
 الناس.. وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم..»

«وكن أعمالهم يعملونها، لكي يطرهم الناس. فيعرضون
 عصائبهم، ويعظمون أهداب ثيابهم.. ومحبون المُتَكَبِّرِ الأول في
 الولايم والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في
 الأسواق. رَأَن يَدْعُوهم الناس: سيدي.. سيدي»..!!

ثم يندفع صوته في هدير، حار، متوهج.
 وتتعلق أبصار الحموع بكلماته كأها الحصى، والسجدة، والملاذ..

«لكن ويل لكم، أيها الكتبة والقرّيسيون المراءون، لأنكم
 تعبقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولا

تَدْعُونَ الداحيين يدخلون..!

«ويل لكم، أيها الكتبة والفريسيون المرءون. لأنكم تأكلون بيوت الأراامل، وليلة تطلبون صلواتكم.. بذلك تأخذون دينونة أعظم».

وتخلع على وحوه الناس بشتر قوة وعزم فيلقفها المسيح، ويصح فيها من روحه لتسمو.. ثم يدمدم بسحرته على السادة «ويل لكم، أيها القادة العميان..

«القائلون من حلف بالهيكل، فليس شيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم..! «أيها الأجهال والعميان،

«أيها أعظم - الذهب..؟ أم الهيكل..؟

«ويل لكم، أيها الكتبة، والفريسيون المرءون.

«لأنكم شهبون قوراً مُبَيَّصَةً تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات

وهكذا أنتم أيضاً، من خارج مطهرون للناس أرازا، ولكم من داخل، مشحونون رياء وثأ»!

لحساب من كانت تلك الحمة الصاعقة على محرّفي الشريعة ومستعدي

الإنسان ؟؟

كانت لحساب «الناس العاديين» لحساب الإنسان، وكرامته وحقوقه.

لحساب بعثه العظيم الذي جاء المسيح يمهّد له الطريق، ويصحّي عه

أولئك الذين «يحرّمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويصعّبونها على أكثاف الناس»



والآن إلى رفيق عيسى، وأخيه إلى «محمد» لبصر موقفه مع (الرجل العادي).. وموقفه من مستعليه..

ولسوف يهرنا بمثل ما هَرَّنا به المسيح..

ولا بدع . فروحهما العظيمان، سُقيا نماء واحد، واصططعها لنفسه أحسن الخالقين

وتحررة لدى الرسول، رائعة، وحاسمة .

إد نشهد فيها الرسول نفسه. وهو يتلقى من ربه «الكبير خطّة العمل، والتهج الذي يحدد واجبه تجاه (الرجل العادي)..

كيف..؟؟؟

إليكُم النبأ العظيم

عندما أذاع «محمد» دعوته، اقترب منه الفقراء والمستضعفون، شأن كل دعوة حقة، طالعة، مفقذة..

وذاث يوم، طرق باب الرسول معوث لأشراف مكة وكرائها، يقول له:

«يا محمد، إن أشرف قومك يرون أن يستمعوا لك، ولكمهم لن يجلسوا مع صعليك مكة وفرائها . من شئت أن تجعلهم يوماً، ولأنا عك يوماً »
والرسول يصعه، لا يحمل في نفسه، ولا في تفكيره، ولا في ملوكة، أدنى اعتبار لمثل هذا التماير.

وهو إذن لا يرى بأساً في أن يحيب هذه الرغبة، حتى يربح الإيمان ولقصيدة، تلك النفوس الشاردة، وعدئد، سيبحث هؤلاء أنفسهم عن الفقراء والصعليك ينجاسوهم، ويراملوهم، بعد أن تدين قلوبهم لذكر الله

وما نزل من الحق.

ويطلب الرسول إلى الرجل أن يعود إليه في عدد؛ حيث يكون قد فكر أو يكون قد جاءه من الله وحي.

وفي عدد، يرجع معوث الأشراف في ميعاده؛ ليتلقى من الرسول رفضاً أكيداً.

ماذا حدث ؟

لقد حارب كنهات الله، تحمل للرجل العادي أعظم تكريم
ألم يكس السادة يريدون لأنفسهم مجلساً غير مجلس الناس العاديين...؟؟
لا . لن يكون لهم ذلك أبداً .

﴿وَأَمِيرٌ مِّنْهُمْ مَّعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَىٰ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُمْ وَلَا نَعْدُ عِيَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ رِبَاسَ الْحَيَوةِ نُدِيًّا وَلَا نُطِيعُ مَنْ
أَعْمَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف ٢٨].



﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَىٰ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا
عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ
فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام ٥٢]

اطروا.

إن رغبة السادة هذه، لو تحققت ما ترتب على تحقيقها صيغ حق
للأحرار ثم إنها قد تفصي بقوم صالين إلى الهداية، والخير . وعلى الرغم
من هذا، يرفضها الله في جسم، ويعتريها من ريمة الحياة الدنيا التي لا يشعي
للرسول أن يريد لها 1

إن روعة هذا المشهد تتمثل في كشفه عن مكانة الرجل العادي في عين

الله.. وفي تبيانها عبرة الله على ذلك الإنسان العادي
 إن الله سبحانه، ليحمله موضوع وصية مفهومة بالحدس، مترعة بالمحبة،
 حين يقول لنبيه

﴿وَلَا تَقْعُدُوا عَنْكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف ٢٨]

ويعتبر التمايز، طرداً لهم وظلماً.
 فيقول لرسوله ﴿وَمَا مِنْ جَسَدٍ عَلَيْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ
 الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام ٥٢]..!!

ويسير الرسول وفق هذا التعليم السيد الرشيد العظيم . فلا يكاد يصير
 الناس العاديين هؤلاء، قادمين نحوه، في أي ساعة. في أي يوم، حتى
 يتنقاهم بحفاوة، ويبسط لهم رداءه يجلسوا فوقه، ويقول
 «أهلاً بمن أوصاني بهم ربي».

للإنسان العادي إذن الذي يمثل جمهرة الأمة والشعب في كل بلد. كان
 وصية الله لمحمد، مثلما كان وصيته سبحانه للمسيح.. مثلما كان وصيته لكل
 نبي، وكل رسول
 وكما رأينا المسيح يحقق هذا المعنى في وعي تلاميذه، يرى الرسول وعمقه
 في وعي أصحابه.

ذات يوم، يمر به رجل نادي بالفقر والمسكنة،

فيسأل النبي جلساءه:

«ما تقولون في هذا»؟

فيجيبون «هو والله خليف إن حطب ألا يروج، وإن تكلم ألا يضعي
 إله»

وبصمت الرسول حتى يمر رجل آخر، عليه محايل النعمة ومظاهر

الشراء فسألهم:

«ما تقولون في هذا...؟؟؟»

فيجيئون «هو والله، خريّ إن حطب أن يروّح، وإن تحدّث أن يُنسمع

له»

فقول لهم الرسول

«والدي نفسي بيده، إن لأول، لخبر من ملء الأرض من مثل

هذا...!»

هـ رسول، يحرر قيمة الإنسان من ريف، وزور، يحررها من الأوضاع

الكادنة المفعلة، ويردها إلى مكانها الحق، في حوار الخبر، والعدل، والحق..

ولا يترك الرسول فرصة لتكريم الناس السطاء العاديين، إلا اهتبلها

يقف بين يدي الله داعياً صارعاً.

«الهم أحيي مسكيناً، وأمّثي مسكيناً واحشري في رمة

المساكين».

وإذا كانت «الجنة» تمثل في ديه ودعوته، أرفع المثوبات، وألقاها، وأقصي

الدرجات العلى، وأسماها، فقد أراد عن هذا الطريق، أن يكرم (الرجل

العادي) تكريماً، يجعل الأشراف ولسادة يتظامون، ويثمنون لو لم يكونوا

أشرافاً، ولم يكونوا سادة

ماذا قل «الرسول» في هذا المقام...؟

قال:

«قمت على باب الجنة، فإذا عامة من دخلها المساكين».

وهو يبحث دوماً عن الناس العاديين، ليجالسهم، ويقول

«ابغوي - أي: اطلبوا لي - ضعماءكم».

ثم يقرر الصفة الاجتماعية لهم، وكيف أنهم الكادحون، استحقون للثروة،
وللدخل القومي يقول

«إِنَّمَا تُنْصَرُونَ، وَتُرْزَقُونَ بِصَعْمَانِكُمْ»

والرسول حين يستعمل كلمة «مسكين» وكلمة «صعمانكم» لا يعني
بالمسكنة، أهوان. ولا يعني بالصعفاء: العجزة
وإنما يعني ناس السطاء الذين يأخذون في «الكادر» الاجتماعي مكاناً
سيطراً متواصلاً.

ولم يقتصر تكريم الرسول للرجل العادي على تمجيده، وتمجيد تواقفه،
وحاته العامة المتعفة بل شاركه هذه الحياة.
لقد كان أكثر أهل المدينة فقراً.

والإنتاج محدود، والدخل قليل، فأخذ الرسول عليه السلام مكانه في
حوار الأكثرية الفقيرة

كان يستطيع أن يحيا حياة أرعد، بصيصه من الضياء، والعائث، وبهنايا
التي لا تنقطع قوافلها ولكنه أبى. وجعل ذلك كله «معطمة» من خطوط
أمنه وأصحابه لا حباً في الجوع، ولا احتيازاً للفقير ولكن مشاركة
للكثيرة، ومعاودة لما نعايه، تقول السيدة عائشة روضة الرسول صلى الله عليه
وسلم:

«كأن يأني علينا الشهر، ما توقد فيه ناراً. إنما هو التمر، والماء»

وتقول.

«ما شبع آل محمد من حر الرُّثْثِ ثلاثاً، حتى مضى لسبيله».

وتقول

«ما أكل آل محمد أكثر من يوم واحد إلا واحداً، ثم...»

ويقول هو، عليه الصلاة والسلام

«لقد أُجِعت في الله، ما لم يخف أحد وأوذيت في الله، ما لم يؤذ

أحد. ولقد أتى عليّ ثلاثون ما بين يوم وليلة، وما لي وللال

من الطعام، إلا شيء يواريه إبط بلال»!!

مرة أخرى لم تكن هذه الرهافة عن حاجة وفقدان دائماً.. بل كانت

طريقة مختارة، وحطة مفصودة. ولقد فتحت عليه ديباً من الخيرات، وما غيّر

من سلوكه هذا شيئاً من كان حين يحينه شيء ويورعه بين أصحابه، يرجى

ابنته «فاطمة» ويقول «حتى يكتفي الناس أولاً!!»

وكثيراً ما كانت الأعطيات تتقاصر دون حاجات الأخدين ولا تنال

فاطمة منها مديلاً، فترضى، وتصبر، لأن أدها العظيم قد وصع لأهل بيته

شعراً فحواه «أن محمداً وأهله، هم أول من يجوع، إذا جاع الناس وآخر

من يشبع، إذا شبع الناس».

لم يكن هذا السلوك من الرسول عن حصيصة إحد لا ولا كان

تمجيذاً للعقر الذي جعله الرسول في بعض أحاديثه تراحم الكفر

إس كان

● تكريماً للكدر..

● وإعزازاً للساطة..

● وتوقيراً للرجل العادي، الذي هو الأمة، والشعب..



وللإنسان حقوق كثيرة، لا بد من صيانتها حتى يستطيع أداء دوره فوق

الأرض

وعلى رأس هذه الحقوق جميعاً.

● حق معاشه .

● وحق صميره.

واب هدين الحقين ليكادان بدحصان حقوقه كلها، تلك الحقوق التي تفتحت عليها أنصار وبصائر الرسولين الكبريين الكريمين محمد، والمسح أما حق المعاش فيعني تحقيق كفة الظروف الاقتصادية التي تهيم للإنسان حياة عادلة، رغيدة

وهو هذا، يهدف إلى حماية الإنسان من الاستغلال والتهب .

وحماية الثروة العامة التي هي حق الناس جميعاً - من ضراوة المحاربة، ومن كن فون السرقة، والفسف، ولاختلاس..

لقد دمدم مسيح كثيرًا بكلمات لامة على أولئك الذين يستمرثون عرق الكدحين؛ وحقوق العاملين.

أولئك:

«لذين يأكون بيوت الأرمل، ولعة يظلمون لصلاة».

و«الذين يظلمون العة، والمحصادين، بيما صياهم قد وصل إلى رب الجنود».

وإنه لخير بأن يفعل، وما كـ ليترك انظامين إلى العدل، يعاون حفاف حقوق، واستعار اهجير، سها حضات من المترفين والمستغلين يتدخلون في لبحبوحة، والطل.

ما كان له أن يصرف نفسه عن هذا الوصح، فإنه لعدم أن عاقبة ذلك الحسر والوبال للامة التي يعث فيها هذا التمايز الطوم إنه يقسم الامة على ذاتها، ويمزقها..

و«كل محكمة منقسمة على ذاتها، تحرب.. وبيت منقسم على نفسه
يسقط»..!!

لقد كان الوضع الاقتصادي في الجماعة اليهودية أيام المسيح، رديئاً،
وقمياً

كان وكلاء «روما» ونجار اليهود، ورؤساء الكهنة سواءً في التامر على
عرق الكدح، ولقمة الجائع.

ولقد تصححت عيا المسيح في طمولته، وفي شبابه على «سياط الباغية،
تسلح ظهور الدس من أجل صرية تأخروا في دفعها
ولو طال به العمر، لكان له مع هذه الأوضاع الشادة وقفة طويلة،
وحامية

لكنه رغم السرعة الواضحة التي لبثها مع دوره العظيم على الأرض،
وعلى الرعم من المنتهى تقريب الذي تعجّر رحيله، لم يترك ذلك الوضع
دور أن يصححه كلمات مضيئة وجامعة.

قال لتلاميذه الاثني عشر حين . سلهم يكرزون بملكوت الله
«لا يكن للواحد ثوب»

وهتف طويلاً بكلمات سله الشهيد «يوحنا»

«من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام، فليعمل هكذا»

وذاات يوم، وهو يعبر الطريق وديعاً كأنفاس الزهر في فحر الربيع، لقيه
واحد من الناس، وسأله

أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث احياء الأبدية.؟؟
فأجابه:

«لماذا تدعوني صالحاً.؟؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله.

«أنت تعرف الوصايا.

«لا تَرْبِ لا تقتل.. لا تسرق.. لا تشهد بالزور لا تسب
أكريم أبائك وأهلك».

قال الرجل، «يا معلم! هذه كلها حفظتها منذ حدثني».

فأجابته المسيح:

«يُغْوِرُكَ شيء واحد

«أذهب، مع مالك، وأعط الفقراء» !!

وهكذا، فإن ابن الإنسان، بهذه دعوته، وهذا مهاجته وسلوكه؛ لا
يمكن بحال، أن يقر أي نظام يقوم على استغلال العرق، واحتكار الرزق،
وتجميد الثروة، وتعويق فرص المعيشة الكريمة الطيبة



ويجيء محمد رسول الله، فيصون حقوق العمل، والعرق، بتعاليم تهت
في الرشده، والدكاء:

«أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه»

«لا تَكْلُفُوا الصَّيِّدَ الْكُتْبَ فَإِنَّكُمْ مَتَى كَلَفْتُمُوهُمْ الْكُسْبَ
سَرَقُوا».

رحمن يكون هذا الأجير حادماً، يرتفع محمد بمستواه، ويعلو..

«لا يقول أحدكم عدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي»

.. هم إخوانكم فأطعموهم بما تطعمون، وألبسوهم بما
تلبسون»..

ولا تكون الثروة مشروعة رحللاً، إلا إذا كانت من كسب طيب
والكسب الطيب، هو الذي لا مكان بين وسائله، للأناية، ولا للاحتكار،

ولا لاستغلال الكاذبين والعامدين

ولأموال الشعب، عبد محمد حرمة جدّ عظيمة.

به ليعمر كل الخطايا، ويتلمس المعدرة لشتى الآثام، إلا لحرمة واحدة،

يرفع في وجهها وفي وجوه مرتكبيها قصاصًا مشحونًا

هذه لحرمة هي اعدوان على مال الشعب

انظروا

نه داب يوم، رجن، نادقًا يعترف في إسفار بجريمة «ربنا» ارتكبتها

وبعد أن اسمع الرسول بقوله، أر دأب يفتح له على المعصرة، وعن السحاء

بفده فقد يح من يده الصاعط، ومن بوبته انصادقه، ما سيء نعرم أكيد

على الاستقامة، ومضي يحاول تُني الرحل عن اعترافه.. كي يتحلل هو من

إسار العتونة به

وبكن هذا السامح الرحيم، يكاد يحتفي تمامًا بحلّ مكانه عصب

مدمدم، وقصاص رهيب حين يكون الجريمة عدوانًا على أموال الأمة

كان له عليه الصلاة والسلام - خادم - اسمه «روعة بن ريد»

أصابه في إحدى العروات سهم فأنهى حياته

وبعد انقصاص لفتال، أقبل أصحابه عليه بغروبه في حادمه، وفان

فانلهم

«هست له، يا رسول الله لقد ذهب شهيدًا»

فأجابه الرسول في أسى

«كلا. إن الشملة التي أحدها من المعصم يوم حير، لتشتعل

عليه نارًا» !

أرايتم ؟

إن هذه الشملة، ما دامت جزءاً من غيمة، أوفىء، ليست منك لأحد
 إنها حق الجماعة كلها، حتى ينال كل حظه ونصيبه
 ولقد أحدهم العلام، وما تساوي أكثر من دراهم قليلة، وقد خدم
 رسول الله ﷺ، ومات شهيداً. ومع هذا كله، بقي مطوقاً بوزره الصغير
 ولكن، من قال: إنه ورر صغير..؟؟
 إنها السرقة. يستوي فيها القروش الضئيلة والملايين لكثيرة سيئ
 حين تكون سرقة أموال عامة
 ويعمم الرسول ﷺ يومه، أب أحد الولاة، قل هدية. فيعصب عضواً
 شديداً، ويستدعيه إليه، فيأتي حينئذ. ويسأله الرسول ﷺ.
 - «كيف تأخذ ما ليس لك بحق..؟؟»
 ويجيب الوالي معتذراً
 - لقد كنت هدية، يا رسول الله!!
 ويسأله الرسول:
 «أرأيت، لو فقد أحدكم في داره، ولم يؤله عملاً. أكان الناس
 يهدونه شيئاً؟»
 ويأمره أب يرد الهدية إلى بيت المال
 ثم يعزله عن ولايته وعمله.
 هكذا أعطى المسيح، وأعطي الرسول حق المعاش للإنسان، من
 عايتهم، ومن تعاليمهم، ما يجعل العمل من أجل التوزيع العادل للثروة
 وتوفير الكامل للرحاء، ورحمة محتومة على مؤمنين بها، السائرين على
 سبيلها.
 والآن... إلى حق الضمير.



لست أعني بالصمير هــ' الوطنية النفسية التي تثير في الإنسان الدم على
شَرِّ ارتكبه، أو تحفره إلى خير تدعس دونه.

إنما يعني بالصمير الإنساني في مقامه هــ، غابة أبعاد، ومعنى أرحب .

يعني به عبارة واحدة موجزة «الإنسان في وجوده الحقيقي»

هذا، هو الصمير الذي سرى الآن كيف حمى المسيح حقه، ورفع محمد

لواءه

إن الذي قال: «لم يخلق الإنسان من أجل السُّبُت، وإنما خلق السُّبُت

للإنسان»، جدير بأن يكون صاحب فصل عظيم في تحرير الصمير البشري..

ولقد قاله المسيح . ولا أكاد أعرف عبادة تدَّخِّن حقوق الصمير

لبشري، وتعلن جلاله، أوْفَى من هذه لحكمة الفدة العظيمة

ولنبداً من البداية.

حين تقدم المسيح ليعانق دوره العظيم، وينتج رسالات ربه. كان الصمير

لإنساني في تلك الرقعة من الأرض التي يسير عليها، مصعداً لأعلال مهمة،

وثقيلة.. كانت «المساومة» تمحقه، وتذله.

كل سكينه نفس كل طمأينة قلب

كل مغفرة ترحمى . كل فضيلة تُلتَمَس..

كل حرية تراد - يتقاضى عليها رؤساء لكهنة أجراً !!

كل عطاء ديني شمس . دخول الهيكل بشمس . التماس البركة شمس..

لصلاة للرب بشمس !!

وهكذا يرنح الصمير في لوثات مسومة موجلة، ومماجرة مسعورة

حتى يحوّل إلى «آلة حساسة» كمن عميها، أن تحصى موفقات أصحابها ثم

و ذات يوم، وهو يعبر الطريق وديعاً كأنفاس الزهر في فحر الربيع، لقبه واحد من الناس، وسأله:

أيها العلم الصالح! ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية...؟؟
فأجابه:

«لماذا تدعوني صالحاً...؟؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله.
أنت تعرف الوصايا»

«لا تزني. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور... لا تسلب
أكرم أباك وأمك».

قال الرجل «يا معلم! هذه كلها حفظتها منذ حدثتني»
فأجابه المسيح:

«يُغْوِرُكَ شيء واحد .

«أذهب، بع مالك، وأعط الفقراء». !!

وهكذا، فإن اس الإنسان، وهذه دعوته، وهذا منهاجه وسلوكه؛ لا
يمكن بحال، أن يفر أي نظام يقوم على استغلال العرق، واحتكار الرزق،
وتجميد الثروة، وتعويق فرص المعيشة الكريمة الطيبة..



ويحيي محمد رسول الله، فيصون حقوق العمل، والعرق، تعاليم تدهت
في الرشد، والدكاء

«أعطوا الأخير أجره، قبل أن يحف عرقه».

«لا تكلموا الصّيان الكُتب فإنكم متى كلفتموهم الكسب
سرقوا».

والآن، يتقدم «روح الله» المسيح عيسى ابن مريم؛ ليحرر صمير الإنسان في تلك الرقعة، وفي ذلك لزمان من ويلات أسره، وظلمات سجنه.. ولنطل كلماته ومواقفه التي سيحرر بها الصمير، دستوراً، حافراً مصيئاً لكل البقاع.. وكل الأربان!

بدأ، فأبقد الصمير من وطأة المساومة، وحرره من ربة العنفة وإذا، كاس، هذه المساومة، تعتمد عن التحريف الديني، وتستغل الضعف الإنساني، أدأ استغلال فقد بدأ عمله هذا، بعث الثقة في رحمة الله ومعرفته.. كي دغدغ ضراوة الشعور الحاذق بالذنب حين يكون هذا الذنب فردياً..

أما حين يكون إثماً «جماعياً» أي رديلة «طيفة» خاصة، تحص هذه الطبقة نعمة، أو امتيازاً، أو سلطاناً غير مشروع. فإنه يندم، ولا يتسامح.. حدث الإنسان الضعيف، عن «الأب لساوي».. الرب الدار الرحيم الرحيم

«..من مكتم - وهو أب - يسأله انه حيزاً، فيعطيه حجراً أو سمكة، فيعطيه حبة أو بيضة، فيعطيه عقرناً.؟؟
«فإن كنتم - وأسم أشرك - تعرفون أن تعطوا أولادكم عطياً حيدة فكم بالحري أنكم الذي في أنساوات. يهب حيرات للذين يسألونه».؟؟

ونائبه الخاطئة، يرفها الكهنة والحلادون فيلقي عليها نظرة طيبة آسية يلمح خلالها الضعف الإنساني الكامن في كل إنسان.. ثم يرفع نصره صوب علاط، الأكباد، قساة الصبائر، وقد مدثوا أيديهم بالحجارة الحادة تأهلاً لرحها، فيمول هم كلماته الماثورة

«من كان بلا خطيئة، فليرمها بحجر» ا

وعلى الرغم من هدوء كلماته هذه، فقد نادت إلى أفتدنتهم كرساص
مقدوف

وتثبت هم خطاياهم . وإد احتواهم ذهون وحري. البت هو نحو
المرأة، رسأف .

«هل ذلك أحد؟؟»

وأجابته:

كلا، يا معلم!

فقول لها، وهو يحاطب بيها الصمير الشرقي القابع المقدوح تحت وطأة
إحساسه المذل بالخطأ .

«ولا أنا أدبك.. ادهي، ولا تحطئي» !!

إنه موقف حدير بابس الإنسان ابن الإنسان الذي جاء ببخلص الأفس
لا ليهنكها..

وأوثك المدهونون أحياء تحت ركام اخوف، والهول، والخطيئة حديرون
بيده الخاية الرحيمة، تأحد هم في رفق كبير إلى إله طيب، برء كريم
وليس معنى موقفه هذا إباحة الإثم .

أنداء. فهو لا يعضأ يدكر بحق أنفسا عبسا، بل ويعلم أن الخطيئة نفسها
جرء من الأعلال التي يرسف فيها وجودنا، وعليها، ونحن نحررها، أن
نعظمها عن نزواتها.

«ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله، وأهلك نفسه أو
خسرها».

لكنه، وهو يدعوها لتحرير أنفسا من الإثم، إنما يفعل هذا بروح أح

ودود.. لا جلاّد كُود .

لكأنه، وهو ير مى «الخطيئة» بصرته الوديعه، كان يسأل نفسه:

إذا سحبنا عن هذه الخطيئة فهاذا يبقى ؟

يبقى الإنسان...!!

حسن هذا.. وكل الشر إذن كذالك

وإذن مرة أخرى، فلا يسعى أن يسحق أرواحهم وصنائيرهم ورحودهم

باليوم القاتل إنما علينا أن نوقف فيهم «الإنسان» بيطرد عنهم «بشرير»

ذلك مسح ابن الإنسان الذي لم يأت ليطلب الأصحاء بل ليعالج

المرضى واندي لم يأت يدعو «أبراراً للتوبة، بل خطائين»

والآن شاهد موقف آخر له، فتعمرنا حرارة مودته، ودفع حنانه ووجد

فيه الأب، والأخ، والصديق والقلب الكبير الشَّمْع الشَّمْع

ذات يوم دعاه أحد التّريسيين إلى طعامه، وإذ هو جالس ينتظر الطعام،

اقتحمت عليه الدار في اضطراب وتعثر، امرأة.

لم تكذ تصره حتى أكَتْ على قدمه غسلها بدموعها، ثم تجففها شعر

رأسها، ثم تعرد فتصمحمها بطيب كان معها

ويجيء التريسي من داخل دونه، فيرى المشهد، وينصر المرأة فيعرفها

إنها واحدة من نائعات الدّنة والهوى

ونهرأ بدمه مسروراً، فهذه فرصة جدّ طيبة لاختبار المسيح، فإن يك

مسيحاً حقاً، فسيعلم الآن، مَنْ هذه التي تلمسه، وتقبل قدميه

ونهرأ المسيح حديث نفسه هد ويلقى عليه، وعلى الدب كلها درسا،

موجهاً الحديث إلى تلميذه «سمعان» وكان ساعته معه

«يا سمعان..»

«عندي شيء، أقوله لك».

«قل، يا معلم».

ويتألف المعلم العظيم حديثه

«كان لداين مديونان.

«على أحدهما خمسمائة دينار. وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن

لها ما يو فيان، ساعدها حبة».

«فقل: أيهما يكون حبا له؟؟؟»

ويجيب «سمعان»:

«أقل، الذي ساعده بالأكثر».

ويقول السيد المسيح

«الصواب حكمت»

ثم يلتفت شطر الإنسان، شطر المرأة الخاطئة. التي ذهب عنها

«الشهير»، ويقي فيها «الإنسان»، ويقول لها وعلى شفته الودودتين استسامة

كصوء الحجر

«إيمانك، قد حُلِّصكِ..»

«أدهي سلام»..!!



أي قلب ذكي، كان يحمله يسوع؟؟

وأي برّ بالضمير الإنساني أسخى من هذا البر؟؟

أي صداقة، تشدُّ أرر الإنسان في ضعفه، أو في من هذه الصداقة؟

وموقف آخر، نُعمق به هذا الفهم في وعي الناس، وبطلانهم أن

يتتهجوه، ويتخذوا منه سلوكاً

يسأله «بطرس»:

«كم مرة يخطئ إليّ أخي، وأعمر له؟ هل إلى سبع مرات؟»

ويجيبه المسيح

«لا أقول لك. إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة»

وعلى طريقته العذبة السديلة، يصرب مثلاً، فيقول:

«يشبه ملكوت السموات، إنساناً مَلِكًا، أراد أن يحاسب عبيده .

فلما ابتدأ في المحاسبة، قدم إليه واحد مديون بعشرة آلاف

درهم . وكد لم يكن له ما يوفي، أمر سيده أن يُباع هو، وامرأته،

وأولاده، وكل ماله، ويوفي الدين..

«فحزَّ العبد وسجد قائلاً يا سيدي اتمهل عليّ، فأوفيك الجميع!!

«فتحسَّ سيد ذلك لعبد، وأطلقه، وترك له الدَّين

ولما حرج ذلك العبد، وجد واحداً من العبيد رفقاءه، كان

مديوناً له بمئة دينار، فأمسكه، وأخذ بعنقه قائلاً: أوفني مالي

علك ..

«فحزَّ العبد رفيقه على قدميه، وطلب إليه قائلاً: تمهل عني

فأوفيك الجميع.. فلم يرد، بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفي

الدين

«ولما رأى العبيد رُفقاءه.. ما كان، حزنوا حزناً، وأتوا وقصّروا

على سيدهم ما جرى

«ودعاه حينئذ سيده، وقال له. أيها العبد الشرير! كل ذلك

الَّذِينَ تركته لك، لأنك طلست إليّ . أفما كان ينبغي أنك أنت

أيضاً، ترحم العبد رفئك كما رحمتك أنا؟..!»

هكذا يقيم المسيح بين الدس تكافلاً وتصامماً، صدَّ الآثام، التي هم فيها
سوءاء، وشركاء.. وصد وطأتها الضاغطة على الضمير الشرقي، حين تُحذ
أداة تحقيره، وإدلاله.

«إن فرح السماء بحاطين واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين
باراً، لا يحتاجون إلى توبة»
«اعمروا إن كان لكم على أحد شيء، لكي يعمر لكم أيضاً أبوكم
الذي في السموات»



ومادا صرع المسيح شذية الأثافي التي كبت تدغدغ الضمير الإنساني
وتثوِّده.. وهي حرمانه من حق الشكوى والمعارضة؟
لقد كان مرقمه من مده عظيمًا وحاسماً، مثل مواقفه جميعاً
ولقد رأينا من قبل، كيف واجه رؤساء الكهنة، والكهنة، والفرسيين،
أمام الحشود من الناس، وكيف سخر منهم، وبأداهم يا أولاد الأفاعي
وهم الذين تعودوا تقديساً مطلقاً، أو شبه مطلق
لقد كان يسوع بخطبته تلك سادي الضمير السحجن إلى عمره مشروع
وحين كان يأخذ طريقه إلى الهيكل، ووجد الباعة، والصَّراخين، والكُهان
«محترفين، يمشون رحبه. أقلل عسهم. يكما موائد الصيارفة، ويسعثر
سلعهم، ويأدي

«مكتوب إن بيتي بيت صلاة، وأسم جعلتموه معارة لصوحن!»

ثم يهر رأسه في عيظ مضطرم ساحر، لكه وديع، ويقول

«يا أولاد الأفاعي». !!

وهو يرسم لتحرير الضمير نهجاً قوياً حين يقول

«تعرفون الحق.. والحق يحرركم».

الحق يحرّرها..؟

ما أونها عبارة، وما أعناها حكمة

ليس أهوى، ولا القوة..

إنما هو الحق وحده، القدر عن أن يهب الإنسان تحرّراً صادقاً، رشيّداً، لا ريب فيه ولا توبيل.

وأمام الحق، لا يجوز لشيء ما، أن يقف، ويتشمع

ولسوف يصرب المسيح لهذا مثلاً من سموه حين يتحدّى عقيدته «الست» تحدياً أحاداً، وبذلك يبعث «حق المعارضة» نعتاً عطياً، ويهب الضمير البشري خلاصاً أكيداً

فراّم في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، أن اليهود تركوا «أورشليم» تسقط في أيدي العراة السلوّيين عند احتاروا لها حمتها يوم السبت وأثر لليهود سهوطها عن أن يقاتلوا يوم السبت؛ حيث تمخّذ البطنة وتقدس لراحة !

وهذا، يشر إلى مدى ما كان لخرافة السبت في أفئدتهم وفي عقولهم من رسوخ وولاء

مهم - يوم السبت لا يكررون، ولا يعاينون ولا يعملون عملاً

فإذا جاء من يتخطّى هذا كله، فيكرّز يوم السبت، ويعط ويدأوي فقد صرب التقاليد الصاربة، صربة قاصية وفتح للصمبر المدحرج ثقلها الحائم، وجوّها الخلق الأسس، نافذة على الأفق المشرق، وهواء النقي ولهد فعلها المسيح، ولم يقم ورنًا لثوره الكهان، والقرّيسيين، بل جعلهم سخريته لدكية صغاراً مهوتين. !

جاءته امرأة في يوم سبت تعاني علة مrojعة، فمنحها المسيح من روحه ما
 عاليت به مرضها، ووجدت بسببه البرء، والعافية
 ووجدتها رئيس المجمع فرصة مواتية، لبُشْن على المسيح هجوماً
 «مقدساً»..!

واقترب منه، والس يسمعون، وقال له:

«كيف برئ في يوم السبت»؟

وأراد المسيح أن يلقيه درساً لا يفيق منه، فكان موجهها لخطاب إلى مقامه
 الكهنوتي الرفيع 11.
 «يا مُراثي».

أفان سقط حمرك في ثريوم السبت، أنقذته وأرأته...

«وحين يمرض إنسان، تتركه في علته إلى يوم الأحد» 11؟

أهاك كلام يقال في هذا المقام، أعدد، وأمتع، وأروع، وأبعد من هذا
 الكلام؟

ومرة أخرى، أرادوا أن يلوموه، لأنه يكرر في يوم سبت. فأجاب
 بعبارة الجامعة:

«إنما خلق السبت من أجل الإنسان، ولم يجعل الإنسان من أجل

السبت»..!

إن الإنسان عند المسيح، هو الشمس التي تدور حولها قوايين المجتمع
 وتسير..

وإن له عده لمكانة عظمى.

«الحق أقول لكم».

«إن من قل لهذا الحبل، انتقل، وانطرح في البحر ولا يشك في

قله .. بل يؤمن أن ما يقوله يكون .. مهما قال، يكون له»
وهو إذ يصع عن الصمير الإنساني سدح السلطان، وضراوة التقاليد.
رإاد يقيمه في مكن الند والنظير لكل سلطة أخرى على الأرض، فيناقش كما
ناقش المسيح، وعارض مثلما عارض، ويعتر بالحق ويتبعه، كما اعتر المسيح به
وتبعه ..

هو إذ يعمل هذا، لا ينسى أن يوصي تلامذته الدين يتمثل فيهم الصمير
الباشع المستيقظ، ألا يتحولوا يوماً ما، إلى سلطة تعوق الصمير. وتكبله من
جديد بما تنتهجه من غطرسة، وضعف، واستعلاء. استمعوا له، وهو يقول
لهم:

«أنتم تعلمون أن الذين يحسبون رؤساء الأمم، يسودونهم.
وأن عظماءهم ينسلطون عليهم. فلا يكون هذا فيكم..
«بل من أراد أن يصير فيكم عطيماً، يكون لكم خادماً
«ومن أراد أن يصير فيكم أولاً، يكون للجميع عبداً..
«لأن ابن الإنسان أيضاً، لم يات ليخدم، بل ليخدم، وليبدل
نفسه فدية عن كثيرين» .



وأما ابوصاية التي كان يفرصها على الصمير الإنساني جماعة المتسعين
بالتقاليد القارية، والأساطير الضحلة، فقد ألغاهما المسيح بعبارة حاسمة..
ودلك حين قال واحد من الجمع:
يا معلم، قل لأخي بقاسمني لميراث..
فإذا هو يجيب:

«يا إنسان، من أقامي عليكما قاضياً، أو مقسماً» ١٩.

إنه موقف يعي عن مواقف . وإنما عبارة تمثّل دستوراً
 إن المسيح ، يسلم الصمير وثيقة رشده ويدعوه لمواجهة مسؤولياته،
 بعيداً عن كل وصاية متطفنة



والآن، إلى موقفه من لآفة الثالثة، اني كان الصمير الإنساني يعانيتها في
 البيئة التي جددت فيها كلمات روح الله:
 هذه الآفة، هي العنصرية

كان «شعب الله المختار» يعيش - كما قلنا من قبل - داخل عقده
 هذه، مطوياً على نفسه، وعلى نواياه الرديئة جداً، ضد الناس جميعاً.
 ولكن، قبل أن يستطرد في حديثنا هذا بحسن أن يعرف علاقة الصمير
 بالعنصرية

لقد ذكرنا حين بدأ الحديث عن الصمير الإنساني، مانعيه هذا الصمير
 وقدا: إما يعني به «الإنسان في وجوده الحقيقي» .
 والوجود الحقيقي للإنسان، يعني التعبير الكامل عنه، وفتح الطريق أمام
 طاقاته، وإمكانياته.

والإنسان. هو الإنسان

لا قيمة لاختلاف اللون، واختلاف اللغة، واختلاف القوم
 وقد كان الناس خلال تطوّرهم، قد عاشوا أممًا، وشعوبًا.. فإن شيئاً
 أسمى من ذلك يُطلّهم، ويحتويهم داخل إطاره، ويناديهم إلى نفسه هو.
 الإنسانية

والعدالة لشريعة، حقيقة موحدة مد وجد الإنسان ولكن ظهورها
 كواقع يتطلب طرقاً، على الإنسان أن يعمل من أجل توفيرها، ومن أجل

تَعَجَّلْ مِيقَاتِهَا . وفي هذا يتحقق المفهوم الصحيح لاسمه، ويتبدى الوجود الحقيقي له

وإدب، فكل تضليل له عن هذا الهدى، وكل تقاعس به عن تلك العناية، يعتبر انتزاعاً له من وجوده الحقيقي . وبالتالي فهو انتهاء لحقوق الصمير الإنساني الذي عرفناه من قبل بأنه «الإنسان في وجوده الحقيقي» .

ويعود حديثاً الأول، حيث ك يقول: إن اليهود كانوا يعيشون في «قوقعة» معيصة، من عصرية حالكة.

وتحرير الضمير الإنساني، يتطلب تمزيق هذه القوقعة، وتسريح هذه العصرية أو تعبير آخر، فإن هدم هذه العصرية يعتبر عملاً جليلاً، وادعاً بالنسبة لتحرير الضمير الشري

فماذا فعل المسيح تجاه هذا الأمر..؟

اقرأ .. واعجبوا..

كان يكلم الحشود يوماً، وإذا أمه وإخوته، يجيئون، ويذهب من يقول له أمك وإخوتك يريدون أن يتحدثوا إليك

فيجيب

«من هي أمي .. ومن هم إخواني» . ١٩٩

ثم بسط كفه المضيئة صوب تلاميذه، ويقول:

«ها، أمي، وإخواني. لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في

السموات، هو أخي وأختي وأمي» . ٢٠٠



ويسلب من الهمد المفهوم الرائع لمزور، الذي يبررون به عصريتهم المسعورة.

قد كانوا يعتمدون على وعد يرمعون أن الله أعطاه لإبراهيم.
يفسرون هذا الوعد تفسيراً يرصي عروهم، وعصريتهم، وطمعهم في
احتلال الأرض كلها !

كما كانوا يتبدخون على الناس بأسماء إبراهيم
فاظروا، كيف يجردهم من هذه، ويتركهم عراة. !
«يا أولاد الأفاعي..»

«لا تقولوا لنا، إبراهيم أن لأنني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم
من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم .
«والآن.. قد وصعت العأس على أصل الشجرة.

«أفكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تقطع وتلقى في النار» !
يا لصدق الكلمات، ويا لروعتها!!

إن انتسابكم لإبراهيم لا يفيدكم شيئاً ما لم تكونوا مثله صالحين، وليس
هناك بشرٌ أفضل من بشر .

ولكن، هناك شجر يعطي ثمراً جيداً فسيقى، ويردهر وشجر يعطي
ثمراً رديئاً، فهذا له العأس، تحبته، ونبيده

ويا أيها اليهود، تحولوا إلى شجرة طيبة، إذا أردتم أن تعيشوا، وتحبوا..
أرأيتم. ؟؟

أرأيتم إلى «يسوع» العظيم، وهو يكافح العنصرية، ليحرر «الصغير
الإنساني من ربقته». ؟

ألم يكن الدرس في أوانه، وفي مكانه، حين قاله وألقاه ؟
والس، يحيى في أوانه مرة أخرى، حين نردده اليوم، وبرويه ؟؟
وفي مثال عذب فنان حكيم، يخرج الدس من فوطة العنصرية

«ليس أحد يوقد مراحاً، ويفطيه بإحدى يديه ويضعه تحت سرير .

بل يضعه على مبارّة، ليظّر الداخلون النور». !

كذلك الأمم، والشعوب..

كل أمة تملك نوراً... تملك علماً .. تملك ثروة.. تملك ذكاء ليس من حقها

أن تنطوي عليه. بل تصعه على مبارّة.. تقدمه في غير مَن، وفي غير أدى

للشربة كلها.. فنحن جميعاً عائلة واحدة فوق هذا الكوكب الرحب.

ويوجه للعصرية صرة مباشرة في حكمة يرونها، ومثل يصرفه. وذلك

حين سألته سائل: مَن قريبى..؟؟

وأجاب.

«كان رجل مسافراً من «أورشليم»، إلى «أرمحا».. وكان الطريق

محصوراً بأخطار اللصوص، وقطاع الطرق. فصاحته روحته

بالتريث حتى يجد من يرافقه في سفره. وإذ ذاك أتته امرأة

الصبي يقول: إن والد صديق به يزعم السفر في نفس الطريق.

«وكان الآخر، سامرياً، فدم يكذب الأب يعلم هدا، حتى انهمض

كمن بدعته عقرب، وصاح باسمه كيف تصادق ابن سامري

بحسب ؟! أما تعلم أن السامريين تصاهروا مع العجم منذ

مئات السنين؟! إن فعلتك لو عرفت، لأثرت في عملي

وتجارتى!!

«ورفض الرجل اقتراح أنه الصغير، وسافر مفرداً. فهاجمه

اللصوص في الطريق، وسلبوه ماله وثيابه.. وأصابوه بجرح، ثم

تركوه من حي رميت

«ومر به كاهن؛ فرآه لكنه تعصى عنه. ومضى في طريقه

«ثم مر به رجل من عشيرته، فتجاهده وواصل سيره.

«وأحضرًا، مر به «سامري»، فعطف عليه، وتوقف، فغسل جراحه ودهنها بالزيت، ثم أركبه على دابته، وأوصله إلى فندق، وأوصى صاحب الفندق أن يعتني به ثم معه مالا كدفعة أولى، على أن يتقاصاه بقية النفقات فيما بعد» .

قصَّ المسيح هذه القصة، وضرب هذا المثل، ثم أتبعه سؤال: «أي هؤلاء، يكون قريبًا للمسافر؟»

فأجاب الرجل:

«من صنع معه الرحمة»^{١١}

هالك قال المسيح:

«إذن، اذهب، وافعل هكذا».

لقد جمع المسيح في هذا المثل كل ملامح العنصرية الشائنة كما ساق في نفس المثل، العنصرية إلى معركة خرجت منها خاسرة مهوكة إن يهود «أورشليم» كنوا في قطيعة مع السامريين؛ لأنهم أصهروا إلى التحم! هذا يكشف المثل عن إعطهم في العنصرية.

وكنا أي يهود أورشليم - يحررون من بني جلدتهم كل من يعامل السامريين، أو يحالطهم..

ولكن، حين وقع الرجل فريسة لقطع الطريق، الذين ربما كانوا يهودًا من بني جسد.. مر به «كاهن». فلم يهتم بأمره..

ومر به «سامري» أي واحد من انديين يمتنهم، ويقاطعهم، ويعتبرهم رخصًا ونجاسة. فسارع إليه، وغسل جراحه، ودهنها بالزيت، ثم حمله على دابته إلى فندق حيث استأجر له فيه مكانًا طيبًا مريحًا !!

هذا، هو القريب، والصديق إذن

الذي يفعل الخير، ويبدل العور، مهما تكن حيلته. مهما يكن معدته وقومه .

وهكذا يرثي المسيح، الإحباء الإنساني، ويحطم سدود العصرية المنحرفة، المتحررة

فالناس جميعهم لدى المسيح إحرة.. وإحرة ضعاف، يستحقون العور، وبذل دماء ليد، والفسس وإنه يصوع هذه الوجهة في سآ حبل، فيقول « ومتى جاء من الإنسان في محله، وجميع الملائكة القديسين معه. فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب . فيميز بعضهم من بعض أي يعزل صالحها عن فاسدها -

ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي ربوا
اندكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأي حجت
فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت عريباً فأويتوني
عريباً فكسوتوني مريضاً فرقموني.. محموساً، فأتيتم إليّ !!
« فيحييه الأبرار حينئذ قائدين متى رأياك حائلاً فأطعماك ؟
أو عطشاً فسقياك ؟ ومتى كنت عريباً فأويتاك ؟ أو عريباً
فكسوتاك ؟ ومتى رأياك مريضاً، أو محموساً فأتيتم إليّ ؟
« فيحيي الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد . حوي
هؤلاء الأصاغر، هي فعلتم !!

لم يقل بما أنكم فعلتموه نفومي شعبي.. بيهود، ورشديم

من قال بأحد إخواني

وأخوانه كما قال من قبل - هم الذين يعملون مشيئة الرب، بعض
الطر عن جنسيتهم، وأزومتهم

ومشيئة الرب: أن يعيش الناس إحرارًا. أحرارًا، ختيرين.. سعداء.

هذا - في إنجلترا - هو موقف المسيح من الضمير الإنساني.

فهل نتجه لأن إلى محمد رسول الله؛ لطالغ موقفه من الضمير الإنساني
أيضًا. ؟؟

ولأنه موقف ناهر، وعظيم.



«هَلَّا شَفَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ» .. ؟

لوكنا هناك - ومحمد رحمة الله للعالمين - يلقي هذه العبارة، لرأيا مشهدًا
عجباً !.

ولرأيناه، وهو ينشئ لحقوق الضمير الإنساني «برح حراسة» شهاب
الارتفاع، محكم النظرات..

لقد ذكرنا من قبل أن الضمير كان ممدوحًا موطأة آفات ثلاث:

- المساومة والتخويف.
- الإذعان الذي يحظر عليه النقاش والمعارضة، ويؤمره بالخضوع
لوصاية منهكة..
- العنصرية التي تحرمه من تحقيق وجوده الصحيح، داخل إحاء إنساني
رحيب.

وأمام هذه الطوائف الثلاثة، التي رأينا قبلًا كيف أبى المسيح في
مكافحتها، وقف محمد ليُحجّر عليها.

وسوف يمضي كما مضى أخوه عيسى.. يرسل في مثل مس الفجر،

تعاليمه، ويدعو في رفق لاحترام الصمير وترك الإنسان مجاً داخل وجوده الحقيقي

وحين يتناول الشر أمامه، ويتشامخ، فلن يدعه يتمكن منه.
ويعتاق زحف الورد الذي معه . بل سيلقه بالحواش الأشد . وضع
رأسه العنيد تحت حد لسيف

وحنى حين يتمثل هذا لشر في هوى عارمه رهيبه، للإمبراطوريتين
كبريتين، كمارس، والروم.. تواصل دعوة محمد زحفها لمطارده
ومن خلال هذا كله. التعاليم المسالمة، ومعارك المقاومة.. تبرز حقوق
الصمير على نحو جليل وقد.
«ولتبدأ من البداية..»

كان الناس يعدون الأصنام، ويستقسمون بالأزلام، ويزجرون الطير؛
ليستبطوا منها في سداجة أمر مستفدهم، وخفايا غيوبهم،
وجاء محمد ليحرر هؤلاء الناس.

ماد، فيهم سيحرره..؟
سيحرر عقولهم من الخرافة..
ويحرر وجدانهم من الإفك
وينقذ وجودهم من الضياع..
ويشر دعوته، ويبلغ رسالة ربه.. ويصير له أصدقاء مؤمنون، وأعداء
مكذبون.

ودات يوم، يجيئه أحد أصحابه مستأذناً في طرد واحد يعتقد أنه منافق
يتظاهر بالإسلام ليؤدي المسلمين، ويحصى في مصه موجدة وشرًا..
وتقدم من الرسول يعرض رأيه.. طرد هذا الرجل من صفوف الجماعة..

لأنه يصمرها شراً ١١

يصمر شراً؟!

لكن، أيّ تطفل على سرائر الناس هذا..؟

وأية رقبة على الصمر الذي جاء محمد لسبعه على أنه وصي ٩

ويسأل الرسول ﷺ صاحبه

- «هلا شققت عن قلبه؟»!

ويعود الرجل فيتكلم:

يا رسول الله، إنه يجني في نفسه غير ما يعلن!

ويجسه الرسول ﷺ

«إن به لم يأمري أن أشو صدور أساس لأرى ما فيها»!

عدرة وحيرة، صيغت في ساطة ويُسر، لكنها تحمل مصمونا يشكل
دسوراً هائلاً، وحافلاً بحمي الصمر، ويضع حرته بمأى من انصم
والافتات .

وفي هذه البداية المشجعة، تتمش بقطة اطلاق الصمر في شريعة محمد
فهذه الرعاية لحرته، والتقدير لحرته، لا يصح تدبيراً له، ولا إفلاتاً
لرمامه.. بل ليتعود حمل المسؤولية واحتير المصير
«يا فاطمة بنت محمد!

«اعلمي؛ فإني لا أعني عليك من الله شيئاً»



﴿مَنْ يَعْمَلْ سَوَاءً يَجْزِ يَوْمَ﴾ [النساء ١٢٣]..



﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [الحجم ٣٩].

حين جاء محمد، وجد الناس اندين بدأ بينهم دعوته، يتعثرون في وجود رائف، ويبارسون حباة مرورة..

وما داموا، لا يعيشون في وجودهم الحقيقي، فالضمير الإنساني، إذن يعاني محنة ويترنح إعباء..

ولقد كان ذلك حاله..

كان مستعكاً لأساطير الأويين، ومحبباً دائماً في مده وعفلة، أمام حجارة مرصوصة، تسمى الآفة..!!

وكن محرد وجود صوت يقول: لا بمثابة إطلاق - أكيد - لسراح هذا الضمير، ودعوة له ليبارس وجوده، وحرية..

ولقد جاء الذي سيقول: لا

وهو، محمد رسول الله، عليه الصلاة والسلام..

وسيكون الريح هبّك، ينتظر سيعها منه؛ ليبدأ من فوره شوطاً طويلاً، ممعاً، حليلاً، يطوف خلاله بمعظم الأرض، حاملاً دعوة محمد. معلماً نهاية الوثنية - ساحقاً تقدمه، أر طائفاً يمينه، أصنام العرب، وبار المرس، وعبده قيصر، وهاتفاً سياده الإنسان على الأرض.

فليس فيها بعد ايوم أكدوبة يعدها، أو قوة يسجد لها

الذين يعدون «قنصر» لن يعدوه بعد اليوم .

واندين يسجدون لنتار، لن يسجدوا لها بعد اليوم

والدين يطوفون حول الأصنام، لن يطوفوا بعد اليوم

ومستقطع جميع الخيوط غير المطورة، اتي تربط هؤلاء، وأولئك

بمعوداتهم الباطنة، وألتهم الزائفة

وسيقف الإنسان فوق لأرض سيدًا لا عبدًا تدفعه إلى عابته حركة
جديدة نابعة منه، لا من أصنام، ولا من أزلام، ولا من قيصر، ولا من
كهن

وشطر السموات العلى. سَيُيَمَّمُ وجهه، حيث له آخر.. إله واحد.. إله
حق..

لا ينام.. ولا يمرض . ولا يموت.. ولا يحقد..

إله ليس قيصرًا ولا حجرًا

«مثل الرسول، ﷺ، عنه ذات يوم:

كيف رأيت ربك..؟

فأجاب:

«نور، أتى أراه»

أجل. هو نور السموات والأرض . هو قوة عالية، عادية، تملأ الكون،
ونسث في الكائنات جميعًا، انشأنا عظيمًا مسيطرًا

وإنا نكاد نراه في أنفسنا. في الشمس. في مياه النهر. في النبات
الأخضر.. في الينس والجند.. في الحركة والسكون.. في السماء وفي
الأرض..

يسأل الرسول جارية: «أبني الله» ؟

فتجيبه في السماء.

فيرضى عن جوابها، ويقول، «إنها مؤمنة»

ولكنه في موطن آخر يقول.

«إذا كان أحدكم يصلي، فلا يزق أمامه، فإن الله نجاهه»

ويقول مرة ثالثة

«لو ألقى أحدكم دلوه في بئر، لوقع على الله»..

حتى نكاد يتركنا نحسب أن الله هو الحياة أو هو رُوح الحياة، فهو أمامنا، وعن يمينك..

هو في الشمس الطالعة، وفي بناء الخاري . في الأفق المشرق .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] .

ألم يكن محمد بُشْرًا هده . بفهمه هذا الله . يطلق الصمير الإنساني من قيود يرُسِّف فيها أمام قيصر بعده.. أو صم يدلُّ له أو نار يسَّح بحملها..

ألم يخرج من دائرته المغلقة ويقذف به إلى اتجاه الأربع . يخلق في رحلة صاعدة ٩٩

عندما يأخذنا من أمام الأصنام . ومن بين أيدي القيصرية المعبودين، ويقول لنا.

إذا كنتم تريدون الله، فاطلقوا صوب حياة.

﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَحْدَةُ اللَّهِ﴾ [القرة ١١٥] ١١



﴿مَا بَعَثْتُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا حَسَّةٌ إِلَّا هُوَ

سَادُّهُمْ وَلَا أَذَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المائدة ٧] ١

ماذا نفهم من هذه الآيات...؟؟

أما أنا، فأفهم أنها تؤدي دورًا جليلاً، غاية الجلال في تحرير الصمير الإنساني من سحرية الألوهية الرائعة التي كانت تُذِلُّه وتُصِلُّه، وتُصد عليه رؤاه.

ولنعد إلى الحديث الذي بدأنا به حديثاً هذا..

رأيًا، كيف أعلن الرسول عليه الصلاة والسلام، أنه لم يجز لشق صدور
الناس، ويتجسس على سرائرهم، ونواياهم
إنه إذن بصون حرية الضمير، ويعلم حقوقه . وبصون حرية التفكير،
لأن التفكير عمل من أعمال السريرة. فمن يفكر في نفسه، ومع نفسه
ولا يطالع على تفكير أحد، إلا حين يعبر بحر عنه بأية وسيلة من وسائل
التصوير

وحيث يحمل ضمائر حرّة أي يحيا في وجود حقيقي غير رائف ولا
مشر فإن تفكيرنا بالتالي، يكون حرّ ويكون سديداً ويكون مشنأ
وعطفاً

ماذا يفسد الضمير، ويفقده حرّيته وسيادته..؟

إنهما التزعيب الباطل، والرهيب الخائر.

أي: المساومة، والخوف..

نفس المشكلة التي واجهت المسيح من قبل وهو يعالج مأساة الضمير
ولسوف يُجهز عليها «محمد» في إبداع، وفي إعجاز
(أ) ليس بين الله، والناس، وسطاء..

(ب) لأنه ليس أحد أحق بالوساطة من أحد

(ج) لأن لا فصل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا غابر

أندلس بين الناس

(د) والامتناع، الوحييد، إنما هو للعمل الأصدق، والأصح، والأفع.

(هـ) فإذا كنت صاحب عمل صادق، صانع، نافع فيد الله فوق يدك،

من غير أن تظلمها .

(و) ودا لم تكن. فليس ثمة من يمسحك حوازي المرور لأن «حوارات

المرور» كلها لدى واحد لا يتكرر، ولا يحايي، ولا ينقص سته وقوانينه هو الله

وإذن، فليذهب السماسرة جميعاً إلى لجحيم إن شاءوا. ١١١.
لقد انصُرَّ سامرُهم وأُتَحِّلت إلى الأبد السوق التي طالما سرقوا فيها
القمرب والجيوب
بن عمدة يتكلم.
إنه يدبغ نعي السماسرة والوسطاء فاسمعوا ربسه العذب، وقوله
الصادق

«إذ سألت، فاسأل الله
«وإذا استعنت، فاستعن بالله..
«واعلم أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك . لم يفعوك إلا
شيء، كتبه الله لك..
«ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا شيء كتبه الله
عليك.
«واعلم أن النصر، مع نصير»!!..



«اعلموا...!
«فكلُّ مُيسر لما خُلِقَ له» .
ثم يركز المسئولية في يد الصمير
﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغَيِّرَ مَا يُنْفِيسُ﴾ [الرعد ١١]..



ولقد جاء الذي سيقول.. لا..

وهو: محمد رسول الله، عليه الصلاة والسلام..

وسيكون التاريخ هناك، ينتظر سماعها منه؛ ليبدأ من قوره شرطاً طويلاً،
معاً، حليلاً، يطوف خلاله بمعظم الأرض، حاملاً دعوة محمد معلناً سيادة
ابوثنية.. ساحقاً قدمه، أو طاوياً يمينه، أصنام العرب، ونذر الفرس، وعنده
قيصر، وهاتفاً بسيادة الإنسان على الأرض..

فليس فيها بعد اليوم أكدوة يعبدونها، أو قوة يسجد لها.

الذين يعبدون «قيصر» لن يعبدوه بعد اليوم.

والذين يسجدون للبار، لن يسجدوا لها بعد اليوم

والذين يطوفون حول الأصنام، لن يطوفوها بعد اليوم .

وستنقطع جميع الخيوط غير اسطورة، التي تربط هؤلاء، وأولئك
بمعبوداتهم الباطلة، وألهتهم الرائجة

وسيقف الإنسان فوق الأرض سيداً لا عبداً تدفعه إلى غايته حركة
حذيلة نابغة منه، لا من أصنام، ولا من أرقام، ولا من قيصر، ولا من
كاهن..

وشطر السموات العلى. سَيُيَمُّ وجهه، حيث إله آخر. إله واحد... إله
حق..

لا ينام.. ولا يمرض. ولا يموت.. ولا يحقد..

إنه ليس قيصر.. ولا حجراً.

«سئل الرسول ﷺ، عنه ذات يوم:

كيف رأيت ربي؟

فأجاب:

مهر إذ يُعطى وثيقة حريته يعطى معها وفي نفس الوقت، رمام
مسئولية !

إن «المسئولية الشخصية» تنسج هذا، لتشكل وجوداً حديداً، يمارس فيه
الصمير الشري حريته ممارسة بشطة، ممثلة، فعالة
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَاقِبَتَهَا﴾ [الأنعام ١٦٤]



﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [المكثوت ٦]



﴿فَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ أَعْرَافِكُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ [سأ ٢٥]



﴿لَا يَمْلِكُ تَعَصُّكَ يَعْصِرُ نَعْمًا وَلَا صَرًّا﴾ [سأ ١٢]!!



والآن، فمع محمد، مرة أخرى، بل مرات، بل دوماً لنصره في حلاله،
وهو يحرر الإنسان، ويحرر الحياة
لقد رأينا وهو يحفر على المساومة وعلى الوساطة، التي تجعل الصمير
الإنساني تابعاً، وسلعة

والآن نراه وهو يحرره من الخوف

إن شر ألوان الخوف، هو الخوف من أنفس

إليك قد تحف «شخاً» ولكن خوفك سينتهي باكتشاف حقيقته، وقد

تحف «ظالماً» ولكن خوفك سينتهي بانتهاء ظلمه

وقد تحاف فقراً، أو مرضاً، أو كراً، ولكن خوفك سينتهي بمحاورة

انفقر إلى العسى، والمرص إلى العافية، والكرب إلى المرح
 أما حين تخاف نفسك . فبك تصاب شرّ ما يمرقك . ؟
 لماذا ؟؟

لأن منك لا تعرفك أنت . ولو عادت الأرض كلها إلى أسياء، وردد
 مستظل بحقوقك معك، تحيط بك، وتُملئ لك، وبمفدك مكية نفسك، وتُشرّ
 وجودك تسيّرًا..!

وحوف النفس، سمة الفهم مغلوطة بطبعها، واسالعة في تحسب
 أخطائها.

عندئذ يلفح الضمير نوع رديء قاس من الشعور الحاد بالإثم، يشطر
 لذات الواحدة شطرين، ويقسمها إلى معسكرين..

ويشعل في الشخص الواحد المقسم على ذاته «حرباً أهلية» مصيبة !
 وفي هذه، يتقدم الرسول ليتبع «قيام بواجبه تجاه تحرير الصمير»
 به لا يتعاصى عن الذنوب، إذا كانت حرائم «طّقة» أو حرائم
 «سلطة»..

وعني بحرائم «الطّيقة»: تلك التي تشكل مفارمة لمصانع حياعة،
 وحقوقها، وتقديمها..

وعني بحرائم «السلطة» تلك التي تُستعمل فيها الوطيفة، أو المكر، في
 انتهاك مان، أو إهدار حق..

أما تلك التي يفرها الضعف للإنساني، في نطاق فردي فهو ما جدّ
 رحيم..!

وكما قل مسيح من قبل : «من كان بلا خطيئة، فليرمها بحجر»..
 ويقول محمد: «كل بني آدم خطاء»

وإنه ليضع أخطاءنا الأخلاقية في مكانها الطبيعي، بوصفها «إفرازًا» يكاد يكون حتميًا، بوجدنا، ولطيعتنا فيقول

«والذي نفسي بيده، لو لم تدبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بآحزين يدينون، فيستعفرون، فيعقر لهم»

إن الرسول، لا يجرّض هذا على الخطأ، والرديلة .

وإنما يشير إلى قانون هام من قوانين حياتنا . ذلكم، هو «قانون التحربة، والخطأ»

إن الدب هنا يعني . الخطأ..

والاستعمار، يعني: التجربة.

لأنه - أعني الاستعمار - يمثل موقف الذي يحاول فيه استرداد أنفسنا، وفطامها عن الخطأ الذي كانت تعرفه.
وهذه، تجربة..

دلت أن التحربة، ليست هي الحادثة التي تحدث لنا

بل هي، موقفنا من الحادثة نفسها..

ويش الرسول في الضمير مريدًا من انطمائية، فيصر هذا على ذلك
يوم، وهو يسير مع أصحابه، يصر على لطيف أمّا تصم طعنها في شعف
كبير، وفي حناك أكيد... فيقف متأملًا، ثم يسأل أصحابه

- «أترون هذه الأم، طارحة ولدها في النار؟»

ويجيب أصحابه رضي الله عنهم

«أبدا، يا رسول الله...»

فيعقب الرسول، قائلاً

«والذي نفس محمد بيده

«الله أرحم بعبيده المؤمن، من هذه بولده»!!

ويتلو محمد آيات ربه في هذا المقام.

وإذ كان الشعور الحاد بالدنوب يعزلنا عن أنفسنا، ويسبب حوقاً منها،

ويضعف نفوسنا بها...

وإذ كان الرسول، قد أبعد عنا وطأة هذه الشعور، حين ضاعل من

خطورة ذنوبنا وأخطائنا..

فإنه أيضاً، في نفس اللحظة.. ولنفس السبب، قد كثره إلينا الخطايا،

وحذرنا من ارتكابها..

فليس من المعقول أن يُعنى تطهير المصيب ويغفل أمر السابح.

وإذن، فهو حين يدعونا إلى انفصائل، وحين يهانا عن الردائل، بل

وحين يُلح أحياناً في دعوته هذه، فإنه لا يعي التحكم في الضمير، إنما يريد

أن يتعد به عن دواعي الخوف وأسبابه.

ويريد له أن يحتفظ دوماً بأمنه وسلامه

﴿قَالِ لِرَبِّكَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَقْبُولُونَ﴾

﴿[الحج ٥].



﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

كَثِيبًا﴾ [النساء ١١٠].

بل إنه ليسهب في إفصاح آمده لامل والرحمة منها بعيداً، بارأ..

فيدعو صاحبه «أبا هريرة» ذات يوم، ويقول له: «يا أبا هريرة، اذهب،

وشر كل من يلقاك بالخنة»..

ويتهج «أبو هريرة» لهذه المهمة لطيفة التي ستثقله في قلوب الناس مرلاً

صارك؛ ديشرهم بأعظم بشرى يتظرونها .
 ويمضي مهرولاً . ييشر كل من يلقاه بالجنة .
 ويلمح .. «عمر بن الخطاب» قادماً، فيجري نحوه سعيداً بالجميل الذي
 سيسديه إليه، فيريح به قلبه .. !
 ويلقاه، ويعاينه، ويصبح:
 يا عمر . أيشر بالجنة . !
 - الجنة ..؟؟ ومن أنباك هذا ..؟؟!
 أنبأ رسول الله يا عمر .. قال لي «أذهب وبشر كل من يلقاك بالجنة» ...
 ويطن عمر أن أنا هريرة قد أصابه شيء . فيأخذ بتلاييه في صرامة،
 ويقرده أمامه إلى رسول الله؛ ليستجي الخير
 ويبين يدي الرسول، يتأكد عمر من صدق صاحبه . ولكنه يشير على
 الرسول ألا يفعل حتى لا يتكل الناس على عفو الله؛ فيتركوا العمل،
 ويتفაცسوا عن الخير .



بعد هدا، يجيء دور الأفة الثانية من آفات الصمير،
 وهي حرمانه حقه في الماقشة، والمعارضة، ورأصعه تحت وصاية عيبة من
 التقاليد البالية، ومن سذنتها، ومُحابب
 وللرسول مع هذه، جولة موفقة ..
 ومجرد ظهوره، كرسول، كان «نعيًا» لها، وقضاء أكيداً عليها . فلقد كان
 عمه، الماقشة، والمعارضة .. وتسريح أولئك الذين يزعمون لأنفسهم من
 دون الناس، حق التوجيه والوصاية
 إنه يحدث الناس عن ربه:

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [المعجوت ٢٠]..

ويطوف بهم بين آيات النكون وعجائبه، ثم يقول.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم ٢٢] .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد ٤]

ويسلك مع الناس سلوكًا، من شأنه أن يعري لصمير الإنساني بالمناقشة،

وبالمعارضة

يقول له «أعرابي» يا محمد، أعطني؛ فليس المال مثلك، ولا مال

أبيك !!

ويهرع إليه عمر عاصمًا، يريد أن يطرحه أرضًا، أو يحجر عليه فيرده

الرسول في انتسامة عذبة، ويقول

«دعه يا عمر.

«إن لصاحب الحق مقالًا». !!

وهو عليه السلام - يلوم السنيين الذين لا يواحدون الخطأ بالتقويم،

وينهى الناس عن أن يكونوا كذلك

«لا يكون أحدكم إمعة

«يقول» إذا أحسن الناس، أحسنت..

«وإن أساءوا، أسأت»

«ولكن، ليوطن أحدكم نفسه، إذا أحسن الناس، أن يحسن

«وإذا أساءوا، أن يتجنب إساءتهم» !!

وبنه لبدنم على لتعديد التي انتهى دورها، ثم لا تزال تتسكك، وتتشتت

بالمساء وعزلها عن الصمير الإنساني لياشر دوره مع الحركة الحديدية

لتاريخ

ويسحر من الذين يقولون كلُّها دعوا إلى التمسك ﴿تَرَقُّلُوا إِنَّا وَحَدَّمَا
هَاسَةً مَا عَلَيَّ أَمْرٌ وَإِنَّا عَلَىٰ هَاسِهِمْ مُنْهَدُونَ﴾ [الرُّحُوفُ ٢٢]

ويرثي لمصير الذين لن يسوا صداقه يوم يقوم الناس لرب العالمين،
لأنهم «كانوا يرجعون بعده الفقهري»^{١١}

ويقول مُبَارَكٌ مَّهْجٌ لِحَيَاةٍ فِي الْبَعِيرِ وَاسْتَطُورَ وَهَانَمَا سَاءَ كَيْ سَارِعَ دَوْمًا
إِلَى سَاءِ التَّحْدِيدِ الْغَوِيْمِ لَصَالِحِ

«إن الله يعث هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد هـ
ديها»

وبعد دَمَرُ الوصاية على الصمير الإنساني حين أعطاه حُرْبَهُ، وَحَمَلَهُ
مَسْئَلَتَهُ عَلَى السَّحَابِ الَّذِي رَأَيْتُهُ مِنْ هُنَا كَيْ اعْتَرَفَ بِحَقِّهِ فِي الْحَقِّ،
وَالْإِسْكَارِ، وَاسْتَصْرَفَ، حِينَ قُلَ لِنَاسٍ «أَسْمُ أَعْلَمَ شَيْئًا دَبَّكُمْ» !



أما موقعه من شأنه الأثافي، التي كان الصمير يربح منها، وهي
العصرية. فما أروعها وهو ينقص ساءها حَجَرًا، من بعد حجر !^{١٢}

لقد عرف جيدًا المبرلة التي تَوَّاهُ اللَّهُ إِسْمًا وَوَصَعَهُ فِيهَا إِنَّهُ يَذَرُ
مَحْرَجَ فِي قَوْمِهِ، وَبَشِيرَ

وقومه — وهذا تأخذ كلمة «القومية» أصدق معانيها، وأحقها بالإكثار
والإجلال —

قومه، هم العالم دون أن ينقص ذلك من ولائك لو طيك وعشيرتك

أجل، هو رسول الله إلى العالم ليهديه بالحكمة والوعظة الحسنة

العالم كله حاصره، وغنائه قريبه، وبعده صاحبه، ورائعه!

«إني رسول الله إلى الناس كافة»

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [النباء ١٠٧]

وحين يُسأل عن أفضل الأعمال، يجيب وما أمره من جواب!

«أفضل الأعمال: بذل السلام للعالم»!

بذل السلام للعالم ٢٢٢.

لكأنه يقولها اليوم ول كأنها تخرج الآن من بين شفتيه الودودتين غصّة،

رطبة، حانية، دافئة، هادية، جليدة...!!!

أنى يكون للعنصرية - إذن - في دعوته مكان ٢٢.

إن العنصرية، أنانية جشعة مظلمة، ولقد عاش الصمير الإنسان في

حائها حتى كاد يفقد داته وكن تحرير له منها، يمثل تحريراً دهرًا للإنسانية

كلها، إلى الأبد

من أجل هذا، أمره ربه أن يقول.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [المؤمنات ١٣]

أي لتكون عايتكم، التعارف، والتآخي..!

وفي التطبيق العملي لهذا الدعوة الجليدة، يمضي محمد كاصوء.

ف «سبلان» المصري . بأحد مكانه إلى حوار «أيي بكر» و«عمر»

القرشيير .!

و«سبلان» الحشني، يكون مكانه في السلم الاجتماعي، دروته وأعلاه.

بيما «أبو جهل» - الرعيم القرشي - يهوي في تقدير الرسالة إلى حصيفض

ليس له قرار .!

ذلك أن العمل الصادق من أحل تقدم هذا «العالم» وسلامه.. هو الميراث

الذي يحدد أقدار الناس.

وبلان الحشبي . كان من العامين الصادقين.. لأن الدعوة التي سرحت بوائها، كانت تقدم بالحياة، وبالرمن، وبالناس إلى الأمام .
كنت تأخذهم من معاطن لركود، وإلى، والجهل، إلى حياة جديدة حافلة بالحركة، وبالتطبع..

أما «أبو جهل» فكان من أقطاب الرجعية، والوقوف.. هذا أحد مكانه في أدبي السلم حتى دفعه الزحام أخيراً إلى التراب..!

أليست رائعة، وعظيمة وقفة هذا الإنسان الكبير، في قرية متواضعة هي «المدينة» مد ألف وأربعين عاماً يمرق ربه العصرية ويسوق القافلة إلى إخاء وحب، ويتحدث عن «السلام للعالم» ١١٩٩

أجل، إنها كذلك . سيما حين يرى في رمسا هذا، دي المدينة المادحة، والحصارة الشاحمة، دُولاً، وشعور تنادي بالعصرية، وتقيم لها الصرح . !
إن حاجتنا لأكيدة، ومستمرة تلاوة الإعلان الذي دأع به محمد ونسبح، حقوق الصمير الإنساني، وخلصه به من أصفده التي كان يعاينها، ويقاسمها.

ولم يكن ثمة أي اعتبار لدى محمد، لمهورق التي تستطيع إذا أهمل خطامها، أن تخلق طقة باغية، أو عصرية مستعبدية
لا اللون، ولا الجنس، ولا الثروة، بل ولا الدين
لا شيء من هذه جميعاً يحدد له الرسون بأن يفرق بين الإنسان، والإنسان

ومن جهة اللون، والجنس، والثروة، يقول دينا يقول..

«كلكم سواسية كأسان المشط»

ومن جهة الدين، يقول عن ربه..

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾
[الشورى ١٣]

ويقول:

«الأنبياء إخوة، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»..

وهو - كرسول للإسلام - يعامل أهل الكتاب معاملة الأخ وأسد ما لم تحمده ضرورات حرب على سلوك آخر طارئ، لا يلبث أن يروب بروال تلك الضرورات.

لم تكن لدعوة «محمد» عليه الصلاة والسلام حذر إقليمية. ولم تأخذ أبداً طابع التعصب، ولا العنصرية..
انظروا...

حين قدم المدينة، وجد اليهود يصومون يوم «عاشوراء»

فسألهم «لماذا تصومونه؟؟»

فأجابوه إنه يوم عظيم.. أنحي الله فيه موسى ومن معه. فصامه شكراً لله.. ونحن لهذا نصومه.

فقال الرسول ﷺ

«نحن أحق وأولى بموسى منكم»..

وصام «عاشوراء».. وأمر المسلمين بصيامه !!

هذا رسول «إنساني» الرؤى.. «عالمي» النهج

ومن ثم، لم يكن للعنصرية في حياته، ولا في دعوته مكان



هكذا حرّر «محمد»، كما حرّر «المسيح» الصمير الشرقي من الأحطوط

لدي كان يحسسه، ويمحقه، والذي أوصى في الحديث عنه، وفي الحديث عن الإحراءات التي اتخذها صده، الرسولان الكريمان!!

ونود أن ندكر به قلناه من قبل.

أن الصمير الإنساني، كما نعبه هـ

هو «الإنسان في وجوده الحقيقي»

وأول مظاهر هذا الوجود الحق للإنسان: هو الفكر

وكل دفاع عن حرية الصمير، وحقوقه هو ددع عن حرية الفكر، وحقوقه

ومن شاء فبعد تلاوة النصوص التي سلعت كلها فسيبصر أي

مباشرة في حماية الفكر، مثل هي مُباشرة في حماية الصمير

إن «التفكير» عمية ذهنية تُراوهُ جميعاً بأسلوب بلقاني حتمي لا

تتكلفه. وليساً على دُفعه بقادريين.

كل فرد يفكر في شئونه، ومشاكله، وشراعه، ورؤى نفسه

وكل فرد يعتر عن داب نفسه بالطريقة التي يستطيعها

ويتعرفن تفكيرها وبماق تعبيرن، حين نُصص بعض الصعوط

الكاحجة

هذه الصعوط التي تربك نفحها حتى الفكر - حريمة «إرهاب

الصمير»

وإرهاب الصمير. أشد قسوة، وأكبر إفكاً، وأأس مصرية، من إرهاب الحسد

ذلك أن «إرهاب الحسد» قد نكث الصرُقات والسدرك والقوب

ولكن الفكر يبقى بعد هذا يعمل، ويجمع المودثم يرحيه ليوم فصل

ويس على ظهر لأرض قوة، تستطيع أن تمك عن التفكير هي تشاء

ذلك أن التفكير عمية محووة، غير منظورة، وغير مسموعة

بك - في صمت - تفكر فيما يشاء ولا نعلم أحد عن موضوع تفكيرك
 وخطرات نفسك شيئاً، إلا حين تفتح شفئك، وتحرك لسانك
 ومهما تكن الظروف التي تمسك لسانك عن كلام تريد أن تقول، أو
 عملك سلوكك عن عمل تريد أن تمارسه، ففي يوم ما، ستوفر لك لا محالة،
 ظروف أخرى تمكنك من القول ومن العمل في حرية واختيار
 لكن إرهاب الصمير شيء مختلف جداً فهو يسلب عن «نورة» الحياة
 ففسدها، يفسد، لا يكاد يصلحها بعد ذلك شيء
 أو هو، يلوي رمام الصمير عن السبل الصحيحة، إلى طرائق، كنه حصر
 وعثرات !

بك - مثلاً - حين تؤمن بحق بشر في سلام دائم، ويبرس صميرك
 دوماً تفكيراً دث في هذا الحق ثم تقوم ظروف قاهرة، أو قوة رابعة، تحول
 بك، وبين الإعلان عن صوت صميرك، وإداعة ما تفكر فيه
 فبك بك لا يصير إلا رشا تتوارى تلك الظروف، فتحد فرصتك في
 التعبير عن صميرك، وعقلك، وفكرتك التي أصبحت المشرقة، والأناة،
 والصراخ المروص !

بكن حين تكون الظروف من نوع آخر فسعد بالإرهاب الباسد، أو
 إخداع الماكر إلى صميرك نفسه إلى عقلك، وتفكيرك، ففسده حتى ترى
 السلام حرافة والحروب ضرورة فبك هي الكارثة التي لا تكاد تؤذن
 بعلاج !

ر ٤٤

لأن الصرة هـ، وجهت إلى «نورة» الحياة نفسها إلى «مركز النفس»
 دته إلى الخهر العظيم الذي يصنع لنا في حياة كل حليم من الأمور، وكل

عظيم من الأعمال..

دلكم هو العقل.. والضمير.

ومثل آخر:

قد تكون إنساناً متديناً، وتعتقد - خطأ - أن تعميم البنت حرام. عندئذ، ستكون مستعداً حسب درجة تديك إلى ارتكاب أية جريمة، تمنع هذا الذي تظنه منكراً، وهو تعليم الفتاة..

وساعتئذ، لن تسمى جريمتك هذه، جريمة، ولكن ستدعوها جهاداً.. وبطولة. وإذا انتهت بموتك، فسترى الموت، تضحية، واستشهاداً! وقد يكون من الذكاء والمقدرة، بحيث تستطيع أن تجمع حولك «قطيعاً» هائلاً من المؤمنين بك، ويقولوك

وقد تستطيع أن تقود هذا القطيع إلى فتنة أو ثورة، تكافحون بها «تعليم البنت» - مثلاً - ١

وسيكون السبب الكامل وراء هذا كله «انحراف الضمير»..!

ومن أين يجيء هذا الانحراف..؟؟

● يجيء من إرهاب الضمير..

● ومن تضليله، وحبس المعرفة عنه

ويتم إرهاب الضمير عن طريق التحوير الديني.. والتحوير

السياسي. والتحوير لاجتماعي..

وإن ضحايا الحروب الدينية.. والثورات السياسية والاجتماعية - لتشير

إلى إرهاب الضمير، كنقطة بدء لكل ما أصاب، وما يصيب البشرية من

عناء..

ولو أن الناس يُتركون، ليفكروا في حرية، وليسلعوا حقوقهم في حرية،

لَتَوْفَّرَ كثير من الدم المراق..

ومن أجل هذا...

ومن أجل أن يحيا الناس في وجود حقيقي صادق طيب. هتف محمد

وهتف المسيح بالكثير من حقوق الفكر، والصمير

ولقد حدثتكم في بعض مؤلفي السابقة، عن ابدى العبد، والرشد

الذي ذهب إليه محمد، في احرامه حقوق العقل، حتى فتح ذراعيه خرية

الشك ذاتها..

وذلك، حين ذهب إليه بعض أصحانه، يَشْكُونُ إليه أنفسهم، ويثونه

مخاوفهم القاتلة من شكوك في الله، تُساورُهُمْ..

فإذا هو يجيبهم متهللاً:

«هل وجدتموه...؟؟» - يعني الشك -.

فيقولون في أمي: نعم !!.

فيجيبهم في بشر.

«احمد الله هذا تحض الإيمان»...!!

من كان يعرف مثلاً، لاحترام الصمير الإنساني، أروع من هذا المثال،

فليدلنا عليه..!!

هذا رسول. صاحب دعوة.. وصاحب دين..

لُباب دينه: الإيمان بالله..

ثم يعتبر الشك سبيلاً ليليقين، ووسيلة للإيمان، بدلاً من أن يعتبره حرمة

ووزراً..؟؟

إنه لأمر فريد، وعجيب..!!



والآن . يجيء دور سؤال هام، علينا أن نعرضه وعيننا أن نواجهه في شجاعة، وفي بصيرة..

وهذا هو السؤال:

ألم يكن السلوك الذي حددته المسيح ومحمد للناس، وطلبنا إليهم ألا يجاوروه - وصاية على الصمير..؟؟

ألم يكن التحوف الشديد الذي نتأه خلال وعيدهما للعصاة.. رهان للصمير..؟؟

سؤال يجيء في أوانه، وفي مكانه، بعد حديث مسهب عن رعاية الرسولين لحقوق الصمير الإنساني، وحمائتهما لصميره وأجيب لا. لم يكن من ذلك شيء إذا أحسنا فهم محمد وفهم المسيح.

لقد ظهر المسيح في قوم، كانوا يخضعون كارهين - لوطاة «روما» وكريبتها . ويخضعون - محدوعين لتعاليم الكهنة وحرافاتهم . ناس، كان الصمير فيهم ملفوفاً داخل قطعة من العلم الروماني. المرشوش بلباء المقدس . أو الذي كان الكهنة سموه مقدساً .!! وكانت السلطة البرمنية، والسلطة الدينية «متماهتين» تماماً على موقفهما من الصمير، «متماهتين» على ضرورة صطهاده، والتكيس به. السلطة البرمنية، تضطهده بوسائلها المعروفة. السجن.. والصلب والتعذيب !!

والسلطة الدينية، ترهقه بوسائلها المعروفة كذلك.. الطرد من الهيكل الحرمان من البركة . الوعيد بالنار..!!

فيذ فعل المسيح تجاه هاتين السلطتين الصاليتين؟

أما الأولى فقد أراد أن يعزل سلطانها عن الصمير بطريقة ذكية، فقال
حكيمته الماثورة:

«ما نقبصر، نقبصر . وما لله، لله» .

وانتجبه صوب السلطة اندينية، التي كبت في معظم تصرفاتها «دثاراً»
يعطي جرائم روما وسلاحاً يفتك به حكامها . فقل رؤساء الكهنة
«يا أولاد لأفاعي يا مرأون . أنتم كذّابون، ومهزحون
تحدثون بالصالحات وأنتم فحرة» !!
وعمد إلى أساعيرهم، فتجداها وسخر منها .

واستقل الصمير الإنسي، القابع في أفئدة ناس يرتجفون من اخوف،
فقال لهؤلاء لا تخافوا . إن أناكم السماوي قادر على هائيتكم.. وهو فيما
يتعلق بحقوقه، غفور ورحيم .
ومثل هذا.. قام محمد..

قال للأشراف الذين كانوا يستصعبون لبس، وَشَرُّ قَوْمَهُمْ
«ليس لابن اليساء، على من السوداء فصل . فرفعوا العبيد إلى
حواركم»

فلما وصعروا أصابعهم في آدمهم، قاد العبيد نفسه، بإحدا مكاهم
المشروع، بجوار السادة..

وما رفع السادة سيوفهم . صاح بالعبيد، أن يدحرجوا السادة العاصيين
إلى السطح البعيد . ويأحدوا مكاهم، الذي هم به جديرون!
وانتجبه صوب «الأسر الديني» المتمثل في الأصنام . فلقاها على الأرض
أعاصاً وتراً، وقال، وهو ينكت مصيرها:

﴿جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهُوقًا﴾ [الإسراء ٨١] !!

ولم يكن ذلك من المسيح ومن محمد، إلا حساب الصمير، وحساب
التقدم الإنساني أيضاً..

وقد يصعب على بعض الناس، تصور هذا اليوم، لأهم بعيدون - حذاً
- عن الرمان، وعن المكان، وعن الظروف التي تمت حلالها، تلك الخطوات
الجديدة، الحريثة، الفاتحة.

وهنا تسأل:

أكان يصح، والرسولان الكريهان، يهدمان تعاليم حامدة، ألا يقيمها مكانها
نهجاً للحياة جديداً..؟؟

نذاهة، لا ولا بد إذن من مهاج. ولقد دعا كل منها إلى مهاج
وهذه المهاج، ثابت وبق فيما يتعلق بقيم الحياة المثلى.. من خير، وحو،
وجمال، ونصحية. ومعرفة..

ولكنه مَرِن، ومتحرك، وقابل للتطوير، فيما يتعلق بسلوك الجماعة،
واحتياجاتها.

والآن، نسأل سؤالاً آخر.

ماذا كانت طبيعة دعوتها..؟؟

أكانت وصاية على الصمير..؟؟

أكنت، وهي تدعو الناس إلى فضائل معينة تريد أن «تحدد إقامة
الصمير»..؟

أكانت، وهي تُخَوِّف الناس من عاقبة الخروج عن الصف، تريد أن
ترهب الصمير..؟

إن تحريفاً أكيداً، قد حدث..

ونستطيع أن ننتهي به في تلك الآيات الغضاب التي بصمها الإنجيل،

ويضعها القرآن

● لكن التحويف الذي لا يحوّل إلى إرهاب، قد يكون بالفعل سبباً في تلك الأرومان العبيدة.. ذلك أن الطبيعة الإنسانية، كما تفعل بالرجاء، تفعل بالخوف..

وسنرى حتى اليوم، تعتمد قوايسنا، ويعتمد عرف الاجتماعى، على الزواجر، كوسيلة من وسائل التربية والتفوييم، وكما قلنا: التحويف في حد ذاته، ويقدر حصيف ليس ضاراً

ولا بد من مخافة المرض. حتى نُعى بالصحة .

ولا بد من مخافة الفوضى.. حتى نحترم النظام..

ولا بد من مخافة الحرب.. حتى ننشئ بالسلام.

بلى الآن - على الأقل - يلعب الخوف الطبعي هذا الدور في تقدمنا .

ولكن حين سرف في استعمال الخوف فيصير إرهاباً. أو سيء

سعماله، فلا تقدم معه الأمل والرجاء، فإن الوضع أشدّ يملف كثيراً.

وينحوّل الخوف إلى جريمة ووبان.

والتحويف الذي لَوّح به المسيح، وأخوه محمد - لم يكن مسيئاً؛ لأنه لم

يكن وحده من كان وسط دُخْر عظيم من رجاء، والأمل، والكشف

الصادق عن رحمة الله الواسعة، وفضله السامع..

كما أنه لم يكن إرهاباً.

فالمسيح، لم يحمل سيفه ليدخل عقائده في قلوب الناس عنوة

ومحمد لم يحمل سيفه ليدخل عقائده في قلوب الناس عنوة

إنما حملاه، ليدافع عن نفسه وعن دينه ضدّ المعادين..

وليس أدلّ على هد، من أنه حين طهر وانتصر، لم يُكرِه واحداً من الناس

على الدخول في دينه..

ولقد رفع عاليًا هذا المبدأ الحليل الذي أوحاه إليه

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ..

● وإذا انتهى وحود الإرهاب انتفى وحود الوصاية، وانحجر على

الضمير

لقد كان لكل من الرسولين، عقيدته ومهاجه.. سبَّ الرسرلان دعورها

في حرارة وقوة، ورسم للمؤمنين بهما مسلكًا وطريقًا

ولكن ذلك كله، لا يعني الحجر على الضمير الإنساني، ولا ينبغي أن

يعني ذلك في وعيا

فكل إنسان حر، في أن يقس عليها، أو يعرض عنها.. وهما لا يسلكان

الناس في الأغلل، ثم يسوقانهم إلى لإيمان، والإدعان..

كما أنها لا يجرمان المؤمنين بها من حق التفكير والمحاولة..

هذا هو المسيح يقول:

«اسموا عن الحق».

والقرآن يقول:

﴿يَسْرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

والرسول يقول:

«تفكر ساعة، خير من عبادة سنة»..

ولقد طابعتنا من قبل موقفه الجليل إزاء الذين غلبهم الشك في الله، أو

كاد.. فما عبقهم، ولا فتح لهم أبواب الحميم، بل قل لهم، وعلى شفتيه بسمه

الرضا واليقين:

«هذا صريح الإيمان»..!!

7

7

8

9

10

11

12

13

14

15

العصل الخامس
معا من أجل الحياة



«أنا خبز الحياة»..

كان المسيح يُهدي إلى الحياة من حير ما في نفسه، حين قال هذه الكلمات.

ولمَّا التحمل من الطرافة، بقدر ما تحمل من الحكمة المعنية الخافلة ..

ولمَّا لثير تساؤلًا، وعجبًا..!؟

فماذا كان يعني المسيح بالخبز..؟؟

أكان يعني المذاق المدي لطيبات الحياة وهو الذي قال: «لا تطسوا أنتم ما

تأكلون، وما تشربون» ؟؟

وماذا احتار هذا التركيب بالدات «خبز الحياة» ؟

لمادا، وهو العائد الأواب، لم يقل أنا خير الإيهام أو أنا خير التقوى.

أو: خير الأجرة..؟؟

لمادا أثر «الحياة».. وقال: «أنا خبز الحياة»..؟؟

ألا إن الجواب ليس..

والحبة، هي «لوصوع» الذي جاء المسيح ليخلوه للناس، ويشرحه،

ويلقي فيه درسه السخ..

هي «الأم» التي جاء المسيح، كما جاء محمد، وكما جاء إحقرة لهم من

المرسدين، يسادوا إليها أساءها الشردين عنها. ولُحيو في أنفس الناس

شعائر الرِّبَا، والولاء لها..

وإذا كنت الحياة لا يطفر بها، ولا يحياها، إلا أولئك الذين يكون لهم وجود حقيقي، فقد جعل الرسولان العطين بصب أعينهما، اكتشاف هذا الوجود الحقيقي للإنسان.

ورجودنا الحقيقي، يبدأ من أين ؟؟

يبدأ من حيث توحد وتمارس العلاقات لصحيحة مع كل ما حولنا..
وقد كن اكتشاف هذه العلاقات، أكثر ما عاشر له، وعمى في مسيله،
محمد، والمسيح..

لقد كشفنا للإنسان أزكى علاقاته، بالله وينمسه وبالعائلة الشريفة كلها.. وبالكون وأسراره الخافلات .

● أما علاقتنا بالله، فقد ارتفعنا به فوق كل رغبة، ورهبة.. وجعلناها حباً خالصاً

قال المسيح

«الله محبة»..

وقال محمد

«أفضل الأعمال: الحب في الله»..

● وأما علاقتنا بأنفسنا، فقد رَكَّزناها في العمل الدائب على صحتها، وتعليتها

قال المسيح

«ماذا ينفع الإنسان، لو ربح العالم كله، وحسّر نفسه»..

وقال القرآن المزل على محمد

﴿قَدْ أَهْلَحَ مَن رَّكَّنَهَا ۖ ۝١ وَقَدْ حَابَ مَن دَسَّهَا﴾ [الشعر ٩ - ١٠].

● وأما علاقتنا بالآخرين، والتسامح المطلق، والتعاضد الوثيق.

قال المسيح.

«أحسنوا إلى مبعضيكم، وصلُّوا لأهل الدين يسيئون إليكم
ريطردونكم»..

وقال محمد:

«بصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»..

● وأما علاقتنا بالكون، وبأسرار الطبيعة، فهي التطلع الشعوف،

والبعث وراء المجهول.

قال المسيح:

«اقرعوا، يُفتح لكم».

وقال القرآن الكريم

﴿سَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [المكثوث ٢٠].

عندما تتراعى لنا هذه العلاقات الرشيدة، تتولد من تعاطفها «حركة»

دائمة، نابية، عايتها استشر وجود.

واستشر الوجود بما يقتضيه من حركة، وبما ينشئ من نعمة، وبما يُعطي

من نسيحة - هو الحياة.

لقد أحبَّ المسيح الحياة، بقلب جسيم، وعشقها بروح ودود.

كان - كما وصف نفسه - حر الحياة.. لأنه عداها بتعليمه، وسقى مثلها

العليا، وقيمها، الباقية من رُوحه.

ومن أراد أن يبصر حبَّ المسيح للحياة، فلسهره في الإنسان

مقد كان الإنسان خير موضوعات الحياة هذه.

وأحبَّ وأقرب أشكال الإنسان إلى قلبه: الطفل..

بالخقل، ويشبه نفسه بالزارع المثابر..

والحياة لدى المسيح، هي الحياة.. خيرها، وشرها.. حلوها، ومرها..
حطوها، وتجربتها..

وهو يحبها جميعاً.. ويحب عليها جميعاً.. حتى في شقيتها، وفي أخطائها..
ضرب لنفسه دات يوم مثلاً:

«إنساناً ررع زرعاً في حقله وفيما الناس نيام، جاءه عدوه
وزرع - زواناً - في وسط الحنطة، ومضى..»

«فلما طلع البات وألقى ثماره، ظهر الروان بجانب الحنطة،
فحماه خدمه، وقالوا له: يا سيد، أليس ررعاً جيداً زرعت في
حقلك، فمى أين له هذا الزوان؟؟»

«قال لهم: إنسان عدو، فعل هذا..»

«قالوا له: أنذهب، نجمله؟»

«قال لهم: لا؛ لئلا تعلقوا الحنطة مع - الروان - وأنتم
تجمعونه»... !!!

انظروا حناته على الحياة، وأحياتها..

طالعوا برؤى فضائلها، وبأخطائها..

إن الررع الحيد، هم الناس الطسوس، والزرع الرديء، هم للناس
الخطاؤون..

وإنه ليرفض أن يقتلع الزرع الرديء؛ رفقا بالطيب، حتى لا ينجث معه،
ويذهب ببدداً..

ولكن، أكان يعني إسلام مصير الطب للخست..؟؟

كلا، فالمسيح لا يدع الرحمة تظن العدل، ولا يتأني لرؤى العظيم أن يعتاق

«ربي وربك الله»..

ويسير بين الحقول وما كان أندرها في بلده - فإذا وقعت عيناه على براعم تتفتح، دبا منها، ومستها بيد حانية، ثم سحنى عليها، ولثمها بفم شكور، وعمرها بغيض من مودته وصدافته، ثم همس إليها قائلاً:

«عام خير وبركة، إن شاء الله»..!!

وإذا طلعت الشمس استقبلها داعياً مستهلاً.. وحين تغرب، فلها منه تحية الودع..

ولكأننا سارع الله إلى هواه، وشاء أن يزكي صداقته الحميمة للكون، والحياة، فأقسم في قرآنه الكريم بـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝﴾ [النبيل ٢] وأقسم بـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝﴾ [الشمس ١-٣]..

لقد احترم الرسول ﷺ الحياة في كل حي. في الإنسان.. والحيوان.. والطير

في الأبيض.. والأسود.. والأصفر..

في عظمتها وفي نؤسها..

مرت به دات يوم جبارة، فوقف لها في خشوع.. حتى إذا جاورته قال له أصحابه: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي..

فأجابهم:

«سبحان الله.!! أليس نفساً؟!؟»

ولم يُطق أن يرى الحياة تتعذب في «هيرة» فقال محمداً:

«دخلت امرأة النار في هرة حسنها، فلا هي أطعمتها، ولا هي

بركتها».

بل أراد أن يملأ الأئمة بتقديس الحياة؛ حتى لا يبقى فيها مكان - أي
مكان - لامتهانها.. وساق هذه القصة القصيرة، والمثيرة:

«سما بعي تسير ذات يوم، إذ رأت كلبًا يلهث من العطش،
فحلعت موقها - أي نعلها - وأدلت بهبل في ثرى، وملأته ماء،
وسقت الكلب؛ فشكر الله لها، وأدخلها الجنة»..!!
وَحُبَّةٌ لِلْحَيَاةِ، جعله يرفض أن يحياها مترفًا، لأن الترف يذهب ببهجة
معاناتها..

«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»..
ورفض أن يحياها متعجبرًا؛ لأن التحرر افتيات على فداستها.

﴿أَنَا أَشَرُّ نَذِيرٍ﴾ [الكهف ١١٠]..

ورفض أن يعزله الجهل عن حقائقها..

﴿رَبِّ رَذِي عِلْمًا﴾ [طه ١١٤]..



«اطلبوا العلم ولو في الصين»..

ولم يحدث قط أن تحدث القرآن عن حياة حديث استحفاف وتحذير إلا
وهي مقرونة بكلمة ادبها.

﴿الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد ٣٦]..

﴿وَمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْمُرُورِ﴾ [الغيد ٢٠]..

﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ فِي الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون ٣٣]..

وقال عن الدين يعيشون كالأنعام، ولا دور لهم في الحياة:

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا مَمُوتٌ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون ٣٧]

فالحياة المقرونة بهذا الوصف.

الحياة «الدنيا»

الحياة الصغيرة الضئيلة، التي لا تحليق لها، ولا تبرير فيها هي التي يذكرها القرآن دوماً في مجال الاستحقاق..

أما الحياة العظيمة

الحياة الصالحة، فالمسح نُحْرُها ومحمد صديقها.



قلت إن علاقاتنا السديدة بالله. وبأنفسنا ولعالم . وبالكون جميعه..
تمكّنتنا من استثمار وجودنا .

وقلت: إن استثمار الوجود يعني أننا نمارس الحياة
وأقول: إن على أبواب هذه الممارسة ستقضي بعلاقات أخرى ترتبط
بالحياة، وتشدنا إليها
وكلما كانت هذه العلاقات صافية، صادقة، جادة . كانت الحياة بالنسبة
لنا فرصة عظيمة مازكة..

أما إذا اعتور هذه العلاقات الريف، والانحراف، والكذب، فإن الحياة
حياتنا - تفقد جمالها، وقيمتها..

وقد نستطيع أن نتصور هذه العلاقات في:

● الحب...

● الصدق...

● العمل...

كل أشياء الحياة، بينها مودة وإلاف حتى الخير والشر اللذين يدوان
لنا ميصص لا يتعقان، وصيدين لا يجتمعان.. يسري بينهما «شُرَيَان» حفي من
التجاذب والتعاون وكثيراً ما تعمى السُّل على الخير، فيتقدم الشر ويمتدح

أمامه الطريق ١.

والأرض، وما خوف من كواكب، تألف الشمس، وتحبها، وتجذب نحوها..

ونحن تنجذب إلى الأرض في حبان، واصطرار..

وهكذا، ولحب الذي سمي «جاذبية» ليس مجرد فضيلة، ولا مجرد عاطفة إنما هو «قانون» يحيط لأصحابه الوجود، والبقاء. وسكان هذا الكوكب - نحن البشر - في حاجة أكيدة، لإدراك هذه الحقيقة إدراكاً سليماً..

وبالأمس. الأمس البعيد، الذي أرسل فيه محمد، والمسيح كما أشد حاجة لهذا الإدراك..

فمراثي التي حرخت بها من «عابه» وطمأن الملاي بشاقيصت.. كثيراً ما تجعل من خصوماً وأعداء، والحب متصر حتماً آخر الأمر؛ لأنه كي أسلمنا، ليس عاطفة، بل «قانوناً». بيد أن ذلك لا يعني السكوت عن دعوة الناس إلى ممارسة هذا القانون، وإحياء شعائره، والتزام جادته.

ولقد جاء الرسولان الكريمان بيناديب الخليفة إليه.. إلى الحب، والإحسان.. وأروع ما في دعوتهما للحب من شواهد هو إسقاطها ديوب المتحايين في الله، وجعلها «الحب» رحمة واسعة، تدوب في دفتها، الخطايا والآثام فالمسيح وهو يصر سب المغفرة الشاملة التي تشرها الحاطنة، يقول «لقد أحبت كثيراً، فعمر لها كثيراً»!!

ومحمد..

يساق إليه ذات يوم رجل من أسلميين، كان قد اعتاد احتساء الخمر ولم يكذ أصحاب الرسول الجاسون معه يبصرون الرجل قدماً، يُمسك

نعصُ الصحابة بتلاميذه، حتى قاتلوا في ازدهاء وضجر «لعنه الله، ما أكثر ما يُؤثّر به شاربنا»!!

ولكن الرسول لا يستريح لما يسمع منهم، فيقول هم في اهتمام:

«لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله»!!

وهكذا، يقيم المسيح والرسول، المعيار الحق لفضيلة الإنسان - أي إنسان - وهذا المعيار.. هو.. الحب..

وحب الله ورسوله هذا، يمثل مجالاً أرحب مما قد يتبادر إلى أفهامنا

إن حب الله، يعني حب آثار رحمته جميعاً من شر، وشجر وحجر،

يعني حب الحياة كلها، والإنسانية التي هي زيتها، وسامها

نقد عمر المسيح للحاطنة؛ لأنها كانت تتصل بالحياة العظيمة عن طريق

علاقة من أوثق علاقاتها، وهي المحبة.

ورفض محمد، أن يُلعن رجل مكير؛ لأنه كان يرعى في فؤاده نفس

لعلاقة.

وفي لوقت ادبي تكون علاقتنا بالحياة قائمة، وصادقة، فإن أخطاء

سلوك، تفقد صراوتها وقيمتها، ما دامت لا تأخذ طابع التحدي

والإصرار..

والحب - كما قلنا - أوثق علاقتنا بالحياة.

ولقد يأخذ في مصطلحاتنا أسماء شتى، فتارة نسميه الرحمة، وأخرى

نسميه الإحاء، أو التعاون، أو البر..

ولكن اسمه الحق سيظل كما هو: الحب..

وسيظل «أنا» لكافة العلاقات، والقيم، التي ترتبط بالحياة ونجدد

وتكفير أخطايا بالحُب، على النحو الذي رأيناه الآن من الرسولين
الكريمين يشير إلى تفسير جديد للحطيئة وللذنوب.

وأفعالنا التي بوصف بأنها خطايا، إنما حلت هذا الوصف؛ لأنها تشبط
ولاءنا للحياة، وتؤدي علاقتنا بها

وتكون أفعالنا شريرة، لا بقدر ما نحمل من شر، فليس بشر وحوود
ذاتي.. بل بقدر ما تعزلنا عن العلاقات الرشيدة الصحيحة الهاضمة التي
تربطنا بالحياة، وتربط الحياة بنا..

بذلك صوّرا مرحهما العظيم، بل وقّرح الله من قبل، بالإنسان النائب.
أي الإنسان الذي يعود إلى تصحيح موقفه من تلك العلاقات التي تصله
بالحياة، ويعيش بسببها حيًّا، وكريمًا !!

ضرب المسيح لهذا مثلاً

«.. أباً أحد المذلل الذي أعطاه له أبوه، وسافر إلى كورة بعيدة،
وهناك بذّر ماله فلما انفق كل شيء، حدث جوع شديد وبدأ
يحتاج، واشتغل أجيراً لواحد من الناس، يرفع له حيازيره
وكان يشتهي أن يعمل بطنه من الخربوب الذي كانت الخنازير
تأكله، فلم يعطه أحد..

«فرجع إلى نفسه، وقال: كم أجير عند أبي بفضل عنه الخبز، وأنا
أهلك جوعاً. ! أقوم وأذهب إلى أبي، وأقول له يا أبي! أخطأت
ولست مستحقاً أن أذعى لك انتاً، اجعلني كأحد أجرائك !!
«وقام، وجاء إلى أبيه.

«وإذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه. فتحنّ وركض، وأسرع إليه
رقبته، وقال لعبيده

«أخرجوا الخُلة، وألبسوه، واجعلوا خاتماً في يده، وخذاء في
رجليه، واذبحوا العجل المسقى وأطعموا الناس». ونادى
فائلاً

«لنفرح، ونُسِرّ؛ لأنّ اسي هذا كان ميتاً، فعاش، وكان ضالاً،
فوجد»!!..

وبعد أن ينتهي المسيح من ضرب هذا المثل يدير بصره النودود على
الوجوه البصغية إليه، ويقول

«هكذا الله.. أبوكم السماوي.. يشناق أن يرى أباءه البشر
يعودون إليه تائبين»!!..

وضرب الرسول مثلاً:

«الله أشد فرحاً بتوبة عبده - حين يتوب إليه - من أحدكم كان
على راحته بأرض فلاة. فاهلك منه، وعليها طعامه
وشراه.. فأيس منها.. فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد
أيس من راحته..

«فبينا هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأحد سقط منها، ثم قال
من شدة المرح. اللهم أنت (عدي) وأنا (ريك).. أخطأ من
شدة المرح»..

ويأخذ الرسولان الكريمان قبوت إلى الحب أحداً وثيقاً، بما يتركان لنا من
قدوة تتمثل في سلوك صادق وعظيم

فالمسيح في إحدى أمسياته الأخيرة على الأرض، يقوم عن طعام العشاء،
رياً أحد «منشفة» ويتزر بها، ثم يصب الماء في آنية، ويدعو تلامذته، فيغسل لهم
أقدامهم واحداً، واحداً، ثم يجففها بالمنشفة التي معه

ويعنى تلاميذه الحياء والفرع، ويجاولون مع المسيح، لكنه يواصل عمله العظيم، وهو يقول لهم:

«الآن تعمون تفسيره»..

وبعد أن ينجز غسل أقدامهم ونجفيتها، يقول:

«أنتم تدعونى معلماً، وسيداً وحسب تقولون؛ لأى كدلك

«فإن كنتُ - وأنا السيد المعلم - قد غسلت أرجلكم.. فأنتم

يجب عليكم أن يعس بعضكم أرجل بعض»!!..!

ويُنصب محمد واحة المحبة بكل عاطمة وريانة طيبة، فيوصي الناس قائلاً

«إذا أحب أحدكم أحباء، فليحبه أنه يحبه»..



«وإذا آخى الرجلُ الرجلَ، فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وعن

هو فإنه أوصل للمودة»..

ويقول:

«يقول الله عز وجل المتحسون لحلاي، لهم مديبر من نور،

يعبطهم النسيون، والشهداء»



«إن من عباد الله أناساً، ما هم بأنبياء ولا شهداء، يعبطهم

الأنبياء والشهداء يوم لقابهم من الله تعالى»..!

«قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟

«قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال

يتعاطونها هو الله إن وحوهم لنور، وإسهم لعل نور، لا يخافون

إذا حُب الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» وقرأ هذه
لآية

﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنسَانِ إِلَهٌ أَحَدٌ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١﴾

[يوس ١١]

إن الرسول يرفع الحب فوق مستوى المنفعة والفرص . يقول:
«تحتوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها».
وهو أيضاً يقرر أن الحب يعطي ضعفاً، ويرفعنا إلى كل مكانة عالية،
عجرت أعماقنا عن أن نضع يدنا فيها . وذلك حين يسأله «أودر»
يا رسول الله، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل عملهم؟
فيجيبه الرسول:

«المرء مع من أحب»..

إن الحب هو الرد الذي يرد عن انشربه سَعَمها المضى، وهو الرُّبِّي الذي
يدفع عنها ظمأها القاتل.

وهي لا تستطيع أن تحب ما لم تحب؛ لأن الحب هو الآصرة العظيمة التي
تجمعها بالحياة، وتمسكها الحن حين الدين تخلق بها وتطير.



والصدق

إنه العلاقة الثابتة التي ترتبط بها مع الحياة.

ومكان الصدق من الحب، جد قريب.

فنحن نكذب حين نخاف.

نكذب على الناس حين نحافهم ونكذب على انقائوس، حين نحافه..

بل نكذب على أنفسنا ونخدعها، حين نحافها.

ومع الحب، لا يوجد خوف.. وإذن، لا يوجد كذب..!
والصدق هنا، أبعد مدى، وأرحب مفهومًا من مجرد الإخبار بالواقع
أعني ليس هو قول الحق وحسب . بل هو أن يعيش الحق نفسه
هذا، هو الصدق، كعلاقة تربطنا بالحياة، وهو يعني تحرير أنفسنا من كل
ما يجعلها نحيًا حياة رائثة مزورة.
يعني أن يشتملنا نطاق واضح، بين ظاهرينا وباطنين.. بين حياتنا الباطنة،
وحياتنا الطاهرة.

ويعني أن نكون قوامين بالقسط، ولو على أنفسنا.
ويعني أيضًا بذل أقصى الجهد في كل عمل نعمله، وفي كل موقف
نحله..

ولقد علمنا هذا محمد، والمسيح.
لقد شأ على الرياء هجومًا عيقًا وأحر الرسول أن «دا ابوحين»
يُدعى عبد الله كذابًا.
فالرياء كذب. والكذب تزيف لعلاقة ثمينة من علاقات الحياة،
وقيمتها، وهي اصدق.
من أجل هذا، كان الرسولان يحنيان لكل محطى يتقدم، وفي يده وثيقة
إدانتهم

هذا الذي يسميه عصرنا الحديث، «النقد الدقيق».
ولطالما ضرب الله برسوله المثل، واصططح منه القدوة
فإذا أخطأ - مثلاً - مع إنسان ضير . ولو بحسب بية، وقف في محراب
انصلاة، والناس من ورائه صفوفًا يصوتون له، وهو يتلو عليهم وثيقة
اعتراه، وأوبته

﴿عَسَىٰ وَبَرٌّ ﴿١﴾ أَدَّاهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ بُرٌّ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ ﴿٤﴾ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٥﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٦﴾ فَأَنَّىٰ لَهُ فَصْدَىٰ ﴿٧﴾ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بُرٌّ ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يُسْتَعِينُ ﴿٩﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ فَأَنَّىٰ عَنْهُ تُلْفَىٰ ﴿١١﴾ كَلَّا إِنَّمَا نَزْلَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [عيسى ١-١١] !!

وإنه ليحدثش أعرابياً ذات مرة، دون عمد، فيصرُّ على أن يحدثه الأعرابي مثلهما. !!

ويقف فوق أسر في جلال عظيم؛ يقول لأصحابه الذين يستمعون له «من كنت جلّدت له ظهرًا، فهذا ظهري» ليقتد منه ومن كنت أحدث من ماله شيئًا فهذا مالي فليأخذ منه... !!
إنه لم يجلد في حياته ظهرًا، ولم يؤلم لأحد ظفرًا ولكنه الصدق يطلق مع الحياة، يُبأسه الرسول في أنقى صوره، وأودها بالدمّة والظهر
وإذ كانت حياته لم تتلف قط برياء أو ضعف، فهي كذلك لم تتلف قط بعزور، ولا بضعف..

لقد كان يسابق زوجته، ويخصف نعله بيده، ويرقع ثوبه بنفسه.
ولقد حلب شاته. وخدم أهله. وحمل الطوب مع أصحابه في ساء مسجده وربط على بطنه الحجر من الجوع... !!

وكان إذا سار في الطريق، ومعه أصحابه، دعاهم يتقدموا عليه.
وإذا قدم عليهم، وهم جلوس، جلس حيث انتهى به المجلس
وكان يقول لهم دائمًا، حين يدعوهم لتكريم خاص.
«إني أكره أن أتميَّز عليكم» .. !!

هذا هو الصدق مع الحياة..

أن يعيشها، عادلين، طيبين، واصحين، ودعاء، سُطاء.

وأن نهارس مستوياتها، ومعانق واجباتها، لا أن نتبدخ بها فيها من فراع
وتُرف وحاه.

اقرءوا..

» وفيما كان يسوع صاعداً إلى اورشليم، أحد الاثني عشر
تلميذاً على انفراد في الطريق..

» وقال لهم ها نحن صاعدون إلى اورشليم، وابن الإنسان
يسلم إلى رؤساء الكهنة، والكتبة، فيحكمون عليه بالموت

». حيثما تقدمت إليه أم اني رسي مع اسبى، وسجلت،
وطلبت منه شيئاً فقال لها: ماذا تريدن. ؟ قلت له: أن يجلس
اسي هذان - يعقوب، ويوحنا - واحد عن يمينك، والآخر
عن اليسار في ملكوتك..!

» فأجاب يسوع وقال: لستما تعلمن ما تطلبان.

» أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا؟ ١١٩٩

ما أحزله من عبارة..!!

فالحياة، ليست منصفاً فحرياً، ولا وُحوداً شرفياً.

بما هي عمس جسيم دائب صادق

وهنا نلتقي بعلاقة أخرى من علاقاتنا بالحياة..



إسها العمل...

والحياة بعير عمل، تمقد ذاتها. فهي عمل مستمر، وصاعد .

هي حركة أريه، وأيديه حائلة كل شيء فيها يمزج بالحركة والمثارة.

هذه المياه الحارية.. هذه الرياح السارية هذه الأشجار، والأرهار.

بل هذه الصحرة التي تبدو جامدة.. والخشبة التي نحسها خامدة.
كلها، وكل أشياء الحياة تُزاول حركة دائبة، ونشاطًا موصولًا.
ولكن العمل قد يحرف، فيمقد على الفور مريته، وقيمه.
من أجل هذا، عني «تجبر الحياة» كما عني «صديقها» بأن يُركب جميع
الخصائص التي تحتفظ للعمل بقيمته وبنقائه.

لقد أراد للعمل أن يكون دائمًا

جليلاً

بافعاً..

مستمراً..

صاعداً..

فانمى الخليل، الباع، المستمر المؤبّد وجهه شطر الأمام لا الزاحف
إلى الخلف..

هذا لعن يمثل أسمى واحباته، كما يمش علاقة كبيرة من خير علاقاتنا
بالحياة..

وحلال العمل، يعني الارتفاع بقدرات إلى مستوى الكمال الميسور
حتى نحقق بها عظائم الأمور، ولا نضع بصغارها
يقول الرسول في هذا:

«إن الله يحب معالي الأمور.. ويكره سفاسفها».

ويقول المسيح، مصالّباً الناس بمريد من العمل، ويعيد من مهمة

«كل من أعطى كثيراً.. يُطلب منه كثير»..

ويقول محمد:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»..

ويُحذَّر من الأعمال الساقطة المتورة، ويؤثر العمل المستمر ولو كان قليلاً على العمل الأثر، ولو كان كثيراً. ويصرب لهذا مثلاً حياً حين يقول:

«فإنَّ المسَّ، لا أرضاً قطع.. ولا طهراً أُنمى»..!!

وهو يريد من العمل أن يكون واعياً. وأن يكون في خدمة التقدم الإنساني. ولا يكون انتكاساً أو ردةً إلى الوراء..
وإنه لعظيم ناهر، وهو يقول في هذا ما معناه:

«يُباد أَدَس من أُمَي عن الخوص يوم القيامة! فأهص لأشع لهم، فيقول الله لي:

«يا محمد، لا تفعل.. إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

فأقول: يارب، وما أحدثو ؟

فيقول سبحانه إسم كانوا يمشون بعدك القهقري على أعقابهم»..!!

والرسول - كما ذكرنا قلاً - وكذلك المسيح - كانت دعوتها حركة جديدة سائرة نحو المستقبل، متجهة إلى الأمام دوماً.

ولها لتجلان العمل، ويبين أن ترتفع به فوق كل عرض ردي، ويحبه كل احراف وزيف.

والإنسان الذي يقضي حياته في عمى صادق نافع - يصير موضع رعاية الله وتقديره

﴿لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي﴾ [آل عمران: ١٩٥]..

ولقد لقي رسول الله ﷺ يوماً أحد أصحابه، وحين صافحه، أحسن في كفه حسونة . فسأله

«يا سعد، ما بال كفيث قد أنجَلت؟» ١٩..

فأجابه سعد:

- من أثر (الحمى) يا رسول الله

فرقع الرسول كفي سعد إلى فمه وَقَلَّهها، ثم قال:

«كفّان، يحسبها الله، ورسوله» ٢٠



هكذا، كان نثر محمد والمسيح بالحياة

لم تجمعهمها بها عطشه عذره، بل وعي رشيد، وإدراك شديد لقيمها،
ودّعهم هائل لكن القيم والقوى التي تنبعث فيها، لا دهار والتألق .

وعلى رأسها جميعاً ما ذكرناه الحب والعمل.

ولقد عاشا حياة مترعة بالحب، وبالصدق، وبالعمل

وكان هما مع الزمن رحله من محمد، وأنفع، وأنهى رحلانه

واليوم، ونحن نشيد من أماني، ومن إصرارنا بناء عزم حديد قدر،

نريد أن نحكي به حياتنا من الدم، سحبي إكباراً هديين لرائدين الخلد

ولإخوة طمأ سيقوهما بالإيمان وبالنسبي، من أجل أن تبقى الحياة مردمة

بأحياء ماركين

وإذا كانت الحروب هي شر ما يحقق بالحياة من خطر .

وإذا كان «محمد والمسيح» قد أعلت في ولاء وإصرار، حق حياة في

حياة

فيه لمن الضروري إدراك، أن نصر موقفهم من السلام، وكيف أراداه

وعلى أية صورة تمثلاه .

وبه لمن أخير لأنفسنا أن نبقى حيناً الدور لذي قام به محمد وصاحبه

لإفراز السلام في الأرض . وجعله شعيرة من شعائر الله .. !!



السلام ..

عندما يرن في سمع الطامس العطشان كلمة «ماء» .

وفي سمع الحائس السَّفْهان كلمة «خير» ..

وفي سمع المشرف على الغرق ، لمتخاذل تحت ضربات الموح كلمة

«شطي» ..

لا يكون لهذا الرين مهما يكن صادقاً ، إلا قليلاً حذاً ، مما هو للرين

الصاهل القوي المفرح، الذي تركه في عصر الذرة كلمة «سلام» .. !!

ولو أن الحرب، وحدها هي التي تتهدد وجودنا كله، لها الأمر، أو

كاد ..

غير أن الذي يُحاصرنا بأخطاره الماحقة، والذي تعثر الحرب نفسها

نتيجة له.. هو التفكير المُلْتَأَت الغرض

وإنني لأذكر الفزع الشديد الذي غشيني ذات يوم قريب، حين طالعت

خضائاً، أو تصریحاً لرجل مستون في أوروبا، يشعل مصباحاً خطيراً، يقول

«لا بد من الحرب؛ دفاعاً عن الحضارة المسيحية» .. !!

وقلت لنهسي يومها

مسيحية، وحرب .. !!؟؟

أي تفاق «سعيد» هذا .. !!؟؟

إن هذه العبارة، التي تقال في عصرنا هذا، المتحصّر كثيراً، والمتقدم

حذً (!) لنشير إلى «الفضيلة» التي طالما تنكّرت فيها «رديلة» العدوان

والبغي

فمعظم الحروب التي أنشئت بخروج الحياة، كاب لها منطق تسويحي،
وحجة تبرر قيامها، وتمجدها المشروعية، وجوار المرور..!!
فباسم الدفاع عن الأديان نارة وباسم الحرية، وحماية حقوق الإنسان
نارة أخرى.. وباسم تمدين الشعوب المتخلفة . وباسم المجال الحيوي للدول
التي ضاقت الأرض فيها بأهلها..
وباسم أشياء كثيرة، كانت تبدو، كأنها منطقية وعادلة.. قامت حروب
صبغت الأرض باند م وغطت ثراها بالأشلاء والحقايم
وكان وراء تلك الحروب . ووراء شعاراتها الكاذبة، ذلك الذي أسمياه
آنفاً.. بالتمكير الملتاث المعرض..
وهو «ملتاث».. لأنه يجهل إرادة التاريخ..
و«معرض» . لأنه يقاومها ويتحداها .
أي أنه بتعبير آخر كان وراء تلك الحروب، جهل بإرادة التاريخ ،
وعصيان لها .
وهنا، نصنع أيدينا على «نقطة البدء» في موقف محمد والمسيح من الحرب،
ومن السلام.
وهنا - أيضاً - نفس تلك الشبهات التي تُلهي في رُوع الكثيرين منا، أن
لمحمد من الحرب موقفاً يُغاير موقف المسيح.
إن من يحترم الإنسان، والحياة، مثلما احترمهم المسيح والرسول - لن
يكون حرصه على السلام إلا عظيمًا
فالسلام، هو المحال الأمن الذي نترعرع فيه مواهب البشر، وقدراتهم،
وهو السلوك الأوحد اللائق بأناس يجمعهم على الأرض عمام مشترك..
ورجاء مشترك.. وسعي مشترك

ناس أنوهم واحد.. وأمهم واحدة..

ناس ليسوا - مهما يتأغصوا ويتأعدوا - سوى إخوة وأشقاء..
من أجل هدا، كانت أولى الحقائق الحديرة بأن يرتد إليها صوابهم، هي
دي

ومن هدا، بدأ المسيح وأخوه دعوتها لسلام..

قال المسيح لتلاميذه

«معلمكم واحد، المسيح. وأنتم جميعاً إخوة».

وقد محمد

«كونوا عباد الله إخواناً. كما أمركم الله تعالى».

ولم يكن «الإخاء» مجرد كلمة يُردّدونها، بل كن كما رأينا من قبل وحلال
عرضنا لموقفهما من الإنسان عقيدة، وسلوكاً
لقد ذكرنا في مستكر هدا الكتاب أن حياة كل من الرسولين العظيمين،
كانت ظاهرة، لا مبنية فيها. ولم يحدث أن أحد عليهما شيء - أي شيء - من
التريد والادعاء.

ولقد دَعَوْا إلى الرحمة.. فكان لا بد أن يكونا رحيمين.. ودَعَوْا إلى
العدل، فكان لا بد أن يكونا عادلين.

ودَعَوْا إلى السلام، فكان لا بد أن يكونا مسالين
ولقد كانا كذلك فعلاً وبعد أكثر مستويات الكمال الشري ارتفاعاً
عاشا حياتهما، ومارسا دورهما القد العظيم.

بأقوالهما في السلام، بشرقة إشراف الصبح، نسلل بقطر المدى

وإن سلوكهما مع السلام، المعجيد.

إن الناس بخاريون؟ ليهرضوا مشيئتهم

ولقد ألقى المسيح فرص المشيئة هذا حتى لو كانت مشيئة عادلة وفاصلة

قال لتلاميذه وهو يوصيهم:

«آية مدبنة دحتموه، ولم يقلوكم فخرجوا إلى شوارعها وقولوا: حتى الغار الذي لصقنا من مدينتكم بنقصه عنا!»
والناس يُحاربون من أجل الأرض يستعمرونها، ويستعلوها،
ولكن استعمارهم هذا وعليهم داء، لن يدوم وسيكون للمسلمين
الودعاء جميع المستقبل، وجميع المصير:

«طوبى للودعاء؛ لأنهم يرثون الأرض»

وهو أعني المسيح - بصع مبدأ هتلاً، وشيئاً في لعلاقات الإنسانية،
فيقول:

«من ليس علينا.. فهو معنا».

ويهر من الحرب هوراً شديداً، ويجدر من عقابها، فيقول
«كل مملكة منقسمة على ذاتها تحرب - وبيت منقسم على نفسه
يسقط»

ويحب الحياة وديعة، مردهرة، حافلة بالمباهج والحب، ويست في الأفتدة
طمأينة، وأملاً، ويحف عنها روعها، ويتمى بالحياة عمراً طويلاً في هذه
الكلبات:

«إذا سمعتم بحروب وقلاقل، فلا تزعجوا.. لأنه لا بد أن يكون
هذا أولاً ولكن لا يكون المنتهى سريعاً».. !!

كم هي عبدة، وطية، ومتعائلة، كلماته الخابيات هذه. «لا يكون المنتهى

سريعاً» !!

وما ترك - ابن الإنسان - ثغرة، تستطيع البعضاء، ويستطيع الشر أن
 ينفذ من خلالها إلى الحب، وإلى السلام، إلا أوصدها، وتحامها
 ومن الحب، والسلام، والإيمان، والطهر، شاد حول الحياة سياجاً لا
 يرام

فدعوته: المضروب على خده الأيمن، أن يعطي لضاربه حده الأيسر.
 ودعوته من اعتصب رداؤه، أن يترك الإرار أيضاً
 وتحذيره المجلجل، للدين تجمي، مهم العثرات الممنية هذا العالم
 وإعلانه، أن «كل من غصب على أخيه باطلاً، يكون مُستوجب الحكم».
 وقوله

«إن أعثرتك يدك فانطعها».



«ما حثت لأهلك، بل لأخلص».



«أريد رحمة.. لا ذبيحة».

كل هذا اهدى، سياح منبع أقامه المسيح حول الحياة.
 نه لم ينتظر حتى يسيء الناس إلى الحياة بالقتل فتلقاهم دون ذلك
 بأبعاد بعيدة تلقاهم عند العصب مجرد الغضب - وصاح 'هذا قتل 11
 مهل يعلم هذا جيداً الدين يؤمنون بالمسيح في زماننا، إنه لخلق بهم
 أن يعلموا...!
 وخير لهم ألا يضلوا في زحمة العضاء والطمع، عن كلماته المصيبة.
 ومشيته السديدة.



ولئن هذا الذي يعمل من أجله العاملون . عملَ إنسان من أكثر أساء
الحياة برأبها، وغيره عليها.
إبه «محمد».

نقد وقف يبلّغ عن ربه في ولاء الصادقين، ويقين المرسلين أنه:
﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة ٣٢].

انظروا...

إن الحياة لا تتجزأ.

ليس هناك حياة لي.. وحياة لك.

إن الحياة كائن واحد.. وأي مساس بأي جزء منها، مساس بها كلها،
وعدوان عليها جميعها. !

وكما اعترى المسيح الغصاء كالقتل. اعترى محمد القطيعة قتلاً، فقال
محدراً منها:

«من هَجَرَ أخاه سنة . فهو كسفك دمه»..!

وإنه كذلك ليعلم أن الناس يتحاربون ويتقاتلون من أجل الأرض
يسعمرونها، فيحمي السلام من هذا السب.. ويعلم أن من غير تحوم
الأرض لئال شبراً، ليس له فيه حق، برئت منه دمة الله، ورسوله !!

ويختصم إليه اثنان عرس أحدهما نخلاً في أرض الآخر فيقصي
لصاحب الأرض بأرضه، ويأمر صاحب السحل أن يخرج نخله منها
منضرب أصولها بالفنوس فوراً..!

ويقول في حديث زاجر عظيم:

«من اعتصب - شبرًا - من أرض طوفة إلى سبع أرضين».

ويعطي هذا المعنى مزيدًا من التوكيد؛ علمه به يحرقه العصب والطمع من شقاق، ونراع، وقتال.. فيقول

«من اعتصب مال أخيه يمينه - أي بالقوة - حرم الله عليه الحقة، وأدخله النار.»

سأله سائل: يا رسول الله، وإن كان شيئًا يسيرًا؟ قال.

«وإن كان عودًا من أراك»!!

ويسأل محمد كما أسلفنا عن أفضل الأعمال، فيجيب:

«بذل السلام للعالم»

ويربط الإيمن بالحب لئسنا معًا سلامًا للحياة وأمانًا. فيقول.

«والذي نفسي بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا - ألا أدلكم عن شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

ويرفع السعي من أجل السلام إلى مكة تفصل جميع العداوات، فيقول في حديث رائع:

«ألا أحرككم بأفضل من درجة الصلاة، والصيام؟» صلاح ذات الدين!

ويستعد كل أسباب الشجر، حتى التامة الضئيل منها، ليقول:

«إذا مر أحدكم في محس، أو سوق، وفي يده بين فديأخذ بنصائها لا يخذش بها أحدًا»..!

ويبلغ عن الله سبحانه قوله:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لَسَئْتَهُ﴾ [الموسى ٩٦].

ويسأل سائل.

يا رسول الله، دلي على عمل، إدا عمتته أكون قد فعت الخير
جميعاً

فيجبه الرسول عليه السلام، «لا تعصب» !
لقد تتع الرسول كل أسباب «بعضاء» والحرب، في سنوك الفرد، وفي
سلوك الجماعة، فكفحها وهي عنها
ولعل سائلاً يسأل

إدا كان محمد قد أزل «السلام» من قلبه، ومن شربعتة هذا المنزل
الرهيع فكيف إدا حمل سيفه وحارب وكيف إدا، جعن الحجة تحت ظلال
السيف؟!؟

سؤال عادل، ومنطق أمين..
والإحانة عنه ترجع بنا إلى نقطة هامة بدأنا بها حديثنا عن اسلام . إدا
قد إن الحروب نشأ دائماً، أو غالباً من سب واحد، هو جهل إرادة
التاريخ، ومقاومتها.

حيث يوجد هذا السب، يوجد لا محالة تحمز وحرب.
ذلك أن التاريخ، الذي هو تطور إنساني زاحف، لا راداً لسهره
التاريخ هدا.. ماض بالحياة إلى عايات جديدة دائماً
وكل مرحلة جديدة منه، تفرص نفسها بقوة الميلاد، وبهوة الصروره
التاريخية التي أهابت بها تنجي*.

كي أن مرحلة قديمة ماثلة للعروب، تحاول التثشت والبقاء.
وتصطنع كل مرحلة لنفسها مؤمين من الناس وأنصاراً
وهنا يقف الحديد، والفديد وحها لوجه..

وحين تكون هذه المواجهة تكون الثورات، وتكون الأحداث الكبيرة

وكلما أمعن أنصار المرحلة الأملية في جهل إرادة التاريخ، وفي مقاومتهم لوليدته الجديد، يكون الصدام أمرًا محتومًا..

وهذا ما حدث أيام الرسول عليه السلام..

قامت حروب.. كان سببها الخلل بإرادة التاريخ، ومقاومة هذه الإرادة.

ولم تأت المقاومة من جانب محمد بل من الجانب الآخر المعادي له

أما محمد، ودعوته.. فقد كنا يمثلان الجديد القادم.. يمثلان إرادة

التاريخ نفسها..

وهذا واضح تمامًا، من ظروف الدنيا أيام بعثته، ومن طبيعة دعوته التي

جاء بها.. ولقد أثرنا لهذا في الفصل الثاني من مصول الكتاب

أنا لا أحاول هنا الدفاع عن الرسول، ولا أحاول تبرير بصلته.. فليس في

حياته العظيمة كلها ما يدعو لمثل هذه المحاولة

ولما أحاول افتراض أن «السلام» نفسه تجسد رصاص إنسان

فيما كان هذا الإنسان صانعًا تجاه الظروف المعادية التي باوأته

محمدًا..؟؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يسيرة، إذا نحن أدركنا المفهوم الصحيح

للسلام.

فالسلم ليس هروبًا من مسئولية.. وليس إدعاءً لهوى الشر، وليس

مسايرة للخطأ. وليس عجزًا عن الاختيار، والممارسة..

وبعبارة واحدة: السلم قيمة تعبر عن نفسها بالإيجاب، ولا بالنسب.

وأكثر الناس تقديرًا للسلم، وحاجة إليه - رسول جاء يدعو إلى عبادة

الله، وتركية النفس..

إن السلم يمثل «الوطن» لدعوة من هذا الطراز.

وقد لاد محمد بهذا الوطن . لا يريد من الناس سوى أن يتركوه يبلّغ كلمات ربه.. ويهارس راحباً يملأ نفسه، ويدعو دعوة لا تقاوم، إلى التبشير به، والعص في سبيله.

وسارع، فأعلن «تعايشنا سلمياً» عادلاً..

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. !!!

ولكن أعداء التاريخ، لم يتركوه، ولم يمهله..

لم يذروا ذنبته إلا ارتكبوها معه..

حصوه بالطوب

سلطوا عليه سفهاءهم، فعمروه بروث البهائم، وهو ساجد يساجي ربه.

حاصروا أهله، وعشيرته حصاراً اقتصادياً خانقاً..!!

مارسوا شر الخرائم، وأرذلها، مع الفقراء والمستضعفين بذيئ اتعوه. !!

ثلاث عشرة سنة، قصاص وسط مؤامرات لا تهدأ، واعتداءات لا

ترعوي.. وهو في صبره، وفي حلمه، وفي السلام الحق الذي يريده ويحبه،

ويتمى دوامه .

سمعون في إيدائه، وفي الكبد له.. فيمعن في الصفع عنهم، وفي الدعاء

لهم.

ولا تشعله جراحه الشاعية، وآلامه اللاهية عن الانتهل من أجلهم:

«اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون». !!

لتأمل جيداً كلمه - لا يعلمون - فيها تمثل إدراك الرسول للحقيقة

المشكلة: جهل أعدائه بإرادة التاريخ، لتي هي إرادة الله من قبل

وما داموا - لا يعلمون - فإن واجب الرسول أن يعلمهم.

وهما يتصح لسر العظيم الجليل في صبر الرسول عليهم ثلاثة عشر

عاماً.

ويستبين فهمه الرشيد لحقيقه السلام، الذي هو إيجاب، لا سلب..
ومواجهة، لا هروب..!!

لقد كان محمد، وهو يصبر على أذهم، ويعلمهم - يمارس سلاماً
حقيقياً، فهو لم يثلم عليهم، ويصبر على هولهم. خوفاً أو استسلاماً
بل، لأنهم لا يعلمون . وعليه أن يعلمهم..
لا يصرون . وعليه أن يفتح عيونهم.
وهذا هو السلام

السلام الإيجابي، الذي يواجه مسئولياته، دون أن يحملة العدوان على
الهروب، ولا على المقاومة غير المشروعة !
ولكن هؤلاء - الذين لا يعلمون - يستغلون - آخر الأمر - كل حقهم
في المعرفة، وكل فرصتهم في السلام
ذلك أنهم يصرون إصراراً وبيلاً، لا على التثبت بباطلهم محسب. بل
وعلى حق الدعوة وإبادتها.

وقرروا قتل محمد عليه صلاة الله وسلامه..!!
وحتى بعد هذه الجريمة السافرة، لم يشأ الرسول أن يقوم. على الرغم
من أن المقاومة آنئذ، صارت حقاً مشروعاً له، بل وصارت تعبيراً آخر عن
العدس، وعن السلام..

لم يشأ أن يقاوم، وهاجر إلى المدينة..
ومن المدينة سارت الأحداث في الطريق الذي جعل المقاومة محتومة
ولارمة..

لم يقاتل الرسول - حين قاتل من أحل توسع، أو امتلاك، أو سيادة بل

حصر جهاده «في سبيل الله»

وعبارة «في سبيل الله» هذه. تمثل الإطار الذي حاص الرسول المعركة داخله.

ولا يكدر شيء يكشف عن ولاء الرسول للسلام، مثلما يكشفه سلوكه في الحرب

فعلى كثرة العرواب التي خاصها، لم يكن عدد الضحايا فيها جميعاً، سوى بضع عشرات من كلا الفريقين. !

وحين علم يوماً أن خالد بن الوليد أسرف في القتل في بعض عزواته، جلجل عصاً، ورفع يديه إلى السماء معتذراً إلى الله، صارعاً وهو يقول:
«اللهم إني أرى إليك مما صنع خالد، اللهم إني أرى إليك مما صنع خالد» !

ولقد كن أمره لأصحابه بين يدي كل معركة

«لا تقتلوا امرأة».

«ولا نبيحاً»

«ولا وليداً».

«ولا تحرقوا ررماً»

«ولا محيلاً».

«ولا تنهوا».

«ولا تثلوا بأحد».

«واجتسوا الوجوه، لا تصربوها» !



وكما جاء عيسى ليكمل الشريعة . جاء محمد ليستأنف المسير .

ولقد كان «انصليب الكبير» الذي أعدّه المجرمون للمسيح يتراءى
لرسول دوماً..

وما كان من الخير أن يُمكنَّ المجرمون من انتصار جديد يتلمظون فيه
بدم رسول شهيد..!

وما كان من الخير أن تحقّ دصوات الهدى في المهد، كل مرة
وإذا كان المسيح، قد حمل «صليبه» من أجل السلام.
فإن محمداً، قد حمل «سيفه» من أجل السلام
كلاهما، سيف.

الصليب الذي حمله المسيح، سيف، أراد اليهود أن يقصوا به على «ابن
الإنسان» ورائد الحق..

وسيف محمد، سيف، أراد محمد أن يفضي به على أعداء الإنسان، وأعداء
الحق.

وغاية الرسولين وحدة: السلام
في دور المسيح كان السيف مُسلطاً على الحق.
وفي دور محمد كان السيف مُسلطاً على الباطل
وفي سلوك المسيح عبر السلام عن نفسه بالرحمة..
وفي سلوك محمد عبر السلام عن نفسه بالعدل..
وهكذا استكمل جناحيه الدين يحنق بهما عالياً..
والرسول لم يحترف القتال، ولم يكن له هوية..
وإنه لعلم أصحابه، ويرسم هم الحدود المشروعة للنزال:
«أيها الناس..

«لا تمشوا لقاء العدو..»

واسألوا الله العافية.

«وإذا لقيتهم، فاصبروا».

أرأيتم...؟

إنه إنسان ودود، مسالم لا يريد لقاء العدو، ولا يتمناه

وإنه ليسأل الله في ضراعة، أن يساعد بيته، ويبرئ هذا اللقاء.

ولكن، إذا اضطره إليه واجب الدفاع عن الحق، وتأديب الباطل

فسيهضر من فوره، ويصبر على مشقة النصال...!!

ولقد عاش المسيح - في دعوته - ثلاثة أعوام.

وعاش محمد - في دعوته - ثلاثة وعشرين عاماً

وعلى الرغم من قصر الزمن الذي عشه المسيح داعياً، وعلى الرغم من

تشبهه بانتسامح المطلق.. فقد كانت مكاييد المترصين به تشد رباد عيظه،

فيزجرهم بكلمات شداد.. ويكاد أحياناً ينجح إلى القصاص، ويشيد

بالقوة العادلة..

هو - مثلاً - يقول: «إذا شتمك أخوك، فوجهه.. فإن تاب فاعف عنه».

ويقول:

«حيماً يحفظ القوي داره متسلحاً، تكون أمواله في أمان»

وكثيراً ما نراه، وهو يخاطب - أولاد الأفاعي - بحندم غيظاً.. وكأنه

يرعب في أن يضرهم، ويدحرجهم على الأرض، كما فعل بموائد الصيارفة،

وأقاصص الساعة حين دخل الهيكل ولكن إدراكه العميق لدوره.. وإيمانه

بأنه حاء الدنيا ليلقي عليها درساً عظيماً في التسامح والمحبة جملاه يكظم

عيظه، ويشرب كأسه في سلام..!!

قال لمن أراد أن يدافع عنه سيئه، حين هاجمه أعداؤه ليلاً، لبأحنوه إلى

رؤساء الكهنة: كي يحاكموه

«رُدَّ سيفك إلى مكانه.. أنتظر أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى
 أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشًا من الملائكة..» ١١٩٢
 «كيف تكمل الكتب..؟ إنه هكذا ينبغي أن يكون» ١١.
 أجل هكذا يسعى أن يكون ما دام قد جاء ليعلّم الناس كيف
 يمكن للحب أن يتعرق على الكراهية، وللسلام أن يسهر على المؤامرة. ١١٩٣



وبعد.. فهكذا كان ولاء محمد والمسيح للحياة.
 وهكذا كان موقفها مع السلام.
 لقد حملت ثغرات الوجود.. وأدى أمانة الحياة على سق جد عظيم.
 وعلى الطريق الذي سارا عليه، لا تزال كلماتها ترسل صياعًا ناهزًا، ولا
 تزال الدني تجدد سكية وأساء، في كلمات المسيح:
 «سلامًا أترك لكم»..
 وفي كلمات محمد:
 «كونوا عباد الله إخوانًا»..



الفصل السادس

والله ...

بار لا يس ... له المسيح ... ؟



عندما قاد اليهود في اورشليم روح الله عيسى إلى «بيلاطس» الحاكم الروماني، مطالبين بصلبه. أطل «بيلاطس» عليهم، ومضى يحاورهم في شأن المسيح؛ إذ كان يعلم أنهم يريدون إسلامه لدموت حسداً من عند أنفسهم.

قال لهم: «ماذا فعل يسوع، الذي يُدعى المسيح؟»

وأجاب اليهود، ورؤساء الكهنة: «إنه يفسد الأمة». ١١

وقال بيلاطس: «بي لا أجد علة في هذا الإنسان»

وبحث كلاب اورشليم نافذة بنباحها من الراوية الحادة، التي تخرج

«بيلاطس» وتكرهه على الإذعان لباحها

قالوا: «إنه يبيع الشعب.. ويمسح أن تُعطى جزية لقيصر. وإذا لم تصله،

فلن تكون محاً لقيصر»... ١٢

وقال بيلاطس: «إنا الآن في العيد، وسطلق كما هي عادة واحدًا من

المحكوم عليهم. فليكن هو المسيح»..

وتهاش رؤساء الكهنة، وتراكم يهود اورشليم كالخراف الضالة..

وصاحوا جيفاً «لا.. لا.. أطلق سراح «باراباس»، أم المسيح قاضيه».

ويلح «بيلاطس» كي ينزلوا عند رأيه، فيقول لهم: «لقد فحصت هذا

الإنسان قَدْ مَكَّم، ولم أجد فيه علة، ولا هيرودس أيضاً، وجد فيه شيئاً مما

تشتكون منه»..

ولكنهم يُلَوِّنُ أَلْسِنَتَهُمْ كأدب الحيات، ويصبحون:

« حد هذا.. وأطلق له باراباس ».

« باراباس.. باراباس.. أم المسيح، فاصله ».

يقول إنجيل يوحنا:

«..وكان - باراباس - ليصًا !!

ويقول إنجيل لوقا.

«إنه كان مطروحًا في السجن لأجل فتنة، وقتل».

ويقول إنجيل مرقس، مثل هذا أيضًا .



إن نفس الخيار، يُقدم اليوم ويعلن:

وإنه لمن حسن الخط أن الدين يختارون اليوم، ليسوا يهود

أورشليم ولكمه العالم كافة. ولعرب المسيحي خاصة..

لقد رفض أخبار اليهود في ذلك اليوم السعيد، أن يختاروا

المسيح، لأنه جماع فصائل لا يطبقوها. ومشرق عصر عظيم لا

يسمح لنقائصهم بالاردهار..!!

وحتى حين خجل ممثل روما العاتية الباغية، أن يشترك في

المؤامرة الدنسة، وترسل إليهم كي يدعوا للمسيح حريته..

رفضوا، وصاحوا به - بل باراباس..

اخيرة لباراباس.. واصلب للمسيح..!!

تري، ماذا يكون جواب الشرية اليوم، حين يطلب إليها أن

تختار. ؟

ب محمد رسول الله، يهديها إلى الخواب الحق ولقد سبق إلى الاختيار

لقد اختار المسيح أي اختار قصائله انتي حاء - هو - ليعثها من جديد..

فمد ألف وأربعائة عام إلا قليلاً، وهو قائم هناك، في شبه جزيرة العرب، يبلغ رسالات ربه، أعلن أن لمسيح سيعود وسيملا الأرض نوراً، وسلاماً، وعدلاً..!! هذا هو، يقول:

«والذي نفسي بيده كُيُوشِكُ أَنْ يَرْفِئَ فِيكُمْ مِنْ مَرْيَمَ مُقْسِطًا» !!

تري، ماذا نفهم من عودة المسيح..؟؟

إن الخواب يسير، إذا عرفنا ماذا كان.

أكان ذلك الحسد الدحل. ولشعر المرسل.. والثلاثين عاماً التي سجت لها على الأرض شهادتا الميلاد والوفاة..!؟
كلا

إن المسيح، هو دعوته هو المثل الأعلى الذي تركه وأعطاه هو الحب الذي لا يعرف الكراهية هو السلام الذي لا يعرف القلق.. هو الخلاص الذي لا يعرف الهلكة..

وعندما تتحقق هذه كلها على الأرض، تتحقق في نفس الوقت، عودة المسيح..

أجل؟ إن المسيح الذي سيعود، والذي تسأله الرسول بالترجى، هو هذا

هو السلام، والحب، والحق، والخير، والجمال.

ونحن، مع «الرسول الأمين»، نصيح:

المسيح.. لا باراباس..

الحق.. لا البطل .

الحب . لا الكراهية

السلام.. لا الحرب..

الحياة.. لا الفناء..

وإننا إذ نرفع في أياننا هذا الاحتير، ليهدي إليه وعي عظيم بحتمية،
وأفضليته، وقيمته..

ويهدى إليه بصراً ثاقباً باحتياجات عصرنا الذي يمزقه الملق والخوف.
وبصر ثاقب بالمصير المروّع الذي سيحيق بالعالم إذا كتب النصر مرة
أخرى للصرخة السافلة التي تقول
«راباس... لا المسيح...»!!

إننا نعرف جيداً، وبذكر غمماً.. أن «مائة وخمسين مليوناً» من البشر،
ذهبوا ضحية الحربين العالميتين السالفتين..!!

«مائة وخمسون مليوناً» ما بين قتيل، ومشوّه، وحريح، ومفقود..!!
قتلى ميادين الحرب. وقتلى معسكرات الإبادة. وقتلى الغارات
الجوية.. وقتلى الأوتنة التي تذرّوها رياح الحرب المنتنة..!!
«مائة وخمسون مليوناً» كانوا حصداً المهشيم والحصداً الأليم، لحروب
خلقتها، وأصرمتها، الروح التي تُؤثر «راباس». وترفض «المسيح»!!
الروح المكهر القاتم، الذي يرى في الحرب صمقة.. وفي القوة امتيازاً..
وفي السرقة سيادة، ونبلًا..!!

الروح القاظ الملتاث، الذي لا يحب الحب.. ولا السلام. ولا الحق.
تُرى، هل يسيطر هذا الروح، وينشر على الحياة الجميلة ضبابه
وظلامه..؟؟

تُرى هل يفتحهم الأفق الوديح، المشرق، ساح لكلا من جديد:

يا رايان .. يا رايان ..

أما المسيح، فيصليب ..

أما السلام، فيصليب ..

أما المحبة، فتصليب ..

هل يمكن أن يحدث ذلك مرة أخرى...؟؟

إن التماؤل الصادق الذي ملأ به محمد رسول الله أفئدت - ليجعلنا

نجيب في يقين راسخ: لا...!

لن يحدث ذلك مرة أخرى.

لقد أقسم «رسول الله محمد» أن المسيح قدم؛ ليملا الأرض قسطاً

وعدلاً.

ونحن نؤمن بصدقه ..

ونؤمن بأن دعوة المسيح هذه تعني انتصار القيم التي كان المسيح

يُمثلها، والتي قهر بها الرسولُ عالم الوثنية والظلام.

تعني انتصار الإنسان، وانتصار الحياة .

تعني سيادة الحب، وسيادة السلام ..



عندما هاجم غوغاء اليهود بستان الزيتون ليقضوا على المسيح، تقدم من

الحرس، وسألهم:

«من تطهون» ؟؟.

أجابوه: «نريد الناصري» !!.

فقال

«أنا هو .. ولست أسألكم إلا شيئاً واحداً».

فہرست

فهرست

الموضوع	صفحة
الإهداء	٥
مقدمة	٧
مراجع	١٠
الفصل الأول: (سقراط يقرع الأجراس)	١١
الفصل الثاني: (الهداية ترسل سفاتها)	٢٥
الفصل الثالث: (معا على طريق الرب)	٣٧
الفصل الرابع: (معا من أجل الإنسان)	٦٧
الفصل الخامس: (معا من أجل الحياة)	١٤١
الفصل السادس: (والآن... باراباس.. أم المسيح..)	١٧٩

10/10/2020

كتب المؤلف

- ١- من هنا نبدأ
- ٢- مواطنون.. لا رعايا
- ٣- الديمقراطية، أبدا
- ٤- الدين للشعب
- ٥- هذا.. أو الطوفان
- ٦- لكي لا تخرثوا في البحر
- ٧- الله والحرية (ثلاثة أجزاء)
- ٨- معا على طريق محمد والمسيح
- ٩- إن الإنسان
- ١٠- أفكار في القمة
- ١١- نحن البشر
- ١٢- إنسانيات محمد
- ١٣- الوصايا العشر
- ١٤- بين يدي عمر
- ١٥- في البدء كان الكلمة
- ١٦- كما تحدث القرآن
- ١٧- وجه أبو بكر
- ١٨- مع الضمير الإنساني في مسيره ومصيره
- ١٩- كما تحدث الرسول
- ٢٠- أزمة الحرية في عالمنا
- ٢١- رجال حول الرسول
- ٢٢- في رحاب علي
- ٢٣- وداعا عثمان
- ٢٤- أبناء الرسول في كربلاء
- ٢٥- معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز
- ٢٦- عشرة أيام في حياة الرسول
- ٢٧- وللوعد الله
- ٢٨- خلفاء الرسول
- ٢٩- الدولة في الإسلام
- ٣٠- دفاع عن الديمقراطية
- ٣١- قصتي مع الحياة
- ٣٢- لو شاهدت حوارهم لقلت
- ٣٣- الإسلام ينادي بالبشر
- ٣٤- إلى كلمة سواء
- ٣٥- قصتي مع التصرف
- ٣٦- أحاديث قلم

تطلب كتب المؤلف من دار المقطم للنشر والتوزيع

